الإنسان الكامل

من كلام الشيخ الأكبر

محي الدين ابن العربي

جمع وتأليف
محمود محمود الغراب

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

الطبعة الثانية

١٥٠٠ ن

الإهداء

إلى الإنسان الكامل الذي لا أكمل منه ـقطب الأرواح وروح الموجودات .



رسول الله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين

إلى أرواح جميع الأقــطاب خلفـاء الله في أرضـه من بدء النشء الإنساني إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

إلى أرواح مشايخي الثلاثة ، قدوتي في طريق الحق ، سيدي العارف بالله الشيخ محمد صادق العدوي المصري ، سيدي العارف بالله الشيخ محمـد المختار بن يوسف الشنقيطي المدني ، سيدي العارف بالله الشيخ أحمد الحارون الحجار الدمشقي .

إلى جميع المؤمنـين الـذين استنـارت قلوبهم بنور الإيمان فاطمأنت نفوسهم إلى العلم اللدني .

إلى روح والدي المرحوم الشيخ محمود الغراب رئيس محكمة مصر الشرعية سابقاً .

إن الخليفة من كانت إمامته
من صورة الحق والأسماء تعضده
ليس الخليفة من قامت أدلته
من الهوى وهوى الأهواء يقصده
له التقدم بالمعنى وليس له
توقيع حق ولا شرع يؤيده
فيدعي الحق والأسياف تعضده
وهو الكذوب ونجم الحق يرصده
(ف ح ٤/٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، واختصه بالخلافة دون الجان ، ومع ذلك قال تعالى ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ لما أعد للسعداء منها في الجنان ، من روح وريحان ، وسعر من أجل الأشقياء النيران ، في دار سرابيلها من قطران ، فهما فريقان ، هنا وفي دار الحيوان ، والصلاة والسلام على الكامل الأكمل ، سيدنا ونبينا محمد الصادق الوعد الأمين ، قطب الأرواح وروح الوجود ، المبعوث رحمة للعالمين . وبعد :

اعلم أيها القارىء الكريم والولي الحميم ، أن الله اصطفى من كل جنس نوعاً ، ومن كل نوع شخصاً ، واختاره عناية منه بذلك المختار ، أو عناية بالغير بسببه ، وقد يختار من الجنس النوعين والثلاثة ، وقد يختار من النوع الشخصين والثلاثة والأكثر ، فاختار من النوع الإنساني المؤمنين ، واختار من المؤمنين الأولياء ، واختار من الأولياء الأنبياء ، واختار من الأنبياء الرسل ، وفضل بعضهم على بعض ، فهذا النوع الإنساني فيه خصائص وصفوة ، وأعلى الخواص فيه من العباد الرسل عليهم السلام ، ولهم مقام النبوة والولاية والإيمان . قال تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ وقال : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﷺ فهذا هو الإنسان الكامل الذي قال تعالى فيه : ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ كما أن في هذا النوع الإنساني ـ الذي يشترك مع الكامل في الصورة الظاهرة ـ مَنْ قال تعالى فيه ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ وقال فيه ﴿ يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ وهذا هو الإنسان الحيوان الذي قال تعالى فيه ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ ولما كانت الصورة الظاهرة مشتركة بين الكامل وغيره ، لزم أن تُعرَف مقومات الكمال في هذا الإنسان ، حتى تتميز المراتب ، فإن الكامل من هذا النوع اختص برتبة لم ينلها غيره من الملأ الأعلى النوراني ، ولا من الملأ الأسفل العنصري ، حيث جعلت فيه الخلافة ، فقال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ الآية . فكان لهذا الخليفة الكمال في بني جنسه ، وتتفاوت درجات الكمال بين

الكمل من البشر ، فهم بين كامل وأكمل ، بما هم عليه من سر في بواطنهم ، اختصاصاً إلهياً ، فلابد في كل زمان من واحد يتقدم أهل زمانه ، ولابد لكل جنس من واحد يتقدم مجموع جنسه ، فالكامل هو الخليفة في كل زمان ﴿ ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ والأكمل ﷺ هو الذي قال عن أمر ربه : (أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر) هذه هي أدلة الشرع .

أما أدلة العقل فمعلوم لكل ذي نظر سليم ـ ولا خلاف بين العلماء ـ أنه ما من صنعة ولا مهنة أياً كانت ، من طب أو هندسة أو معمار ، إلى غير ذلك ، ولا مقام من صبر وتقوى وزهد ، ولا حال من خوف أو رجاء أو حب ، إلا ويتفاوت الناس فيه ، أياً كانت مللهم أو مذاهبهم ، ولابد في كل صنعة أو علم أو فن أو مقام أو حال من سابق لا يُلْحَق ، ثم تتوالى المراتب والدرجات من بعده في زمانه أو في جنسه ، إذا وضعت الموازين وعرفت المقاييس ، كذلك العبودية لله لابد من واحد متحقق بها ذوقاً وحالاً لا يُسْبَق في زمانه ، وواحد لايُسْبَق في جنسه ، هذا الواحد هو الذي يشار إليه بالإنسان الكامل في زمانه ، وله رتبة الخلافة ، فهو خليفة الله في أرضه ويسمى القطب الغوث الفرد ، قال عيسى عليه السلام عندما أراد أن يُعَرِّف بمقامه : ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب ﴾ وقال تعالى عن محمد ﷺ : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ وقال فيه : ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه ﴾ فكان التعريف والشرف برتبة العبودية لله تعالى .

وقد قمت بجمع ما قاله الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي عن الإنسان الكامل وصفاته وأحواله ، من كتب الشيخ ، وكذا ما قاله عن القطب الغوث ، كل ذلك يترجم عن فهم الشيخ رضي الله عنه في تفسير آية واحدة من القرآن وشرح لحديث ثابت صحيح ، قال علي بن أبي طالب وقد سئل : « هل ترك فيكم رسول الله ﷺ شيئاً غير القرآن ؟ . قال : لا إلا فهماً آتاه الله عبداً في كتابه » ـ الحديث ـ وسيجد القارىء إلى جانب هذا التفسير طرفاً من العلم اللدني ، الذي علمه الله تعالى من شاء من عباده ، مما لايخل بقاعدة شرعية ولا أصولية ، فمن آمن بهذا العلم نال السعادة وحاز بركته ، ومن لم يؤمن به لايشقى وإن كان محروماً ، فإنه ليس من علوم التكليف .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

دمشق ٢٥ شعبان ١٤٠١ هـ
٢٧/٦/١٩٨١ م

محمود محمود الغراب
دمشق ـ ص . ب ٣٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
المبعوث رحمة للعالمين

قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم مالا تعلمون ، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون ﴾ وقال ﷺ : « إن الله خلق آدم على صورته » أخرجه مسلم في صحيحه .

خلق الصورة الإنسانية وظهورها من وجود فرق إلى وجود جمع :

لما كان المقصود من العالم الإنسان الكامل ، كان من العالم أيضاً الإنسان الحيوان ، المشبه للكامل في النشأة الطبيعية ، وكانت الحقائق التي جمعها الله في الإنسان متبددة في العالم ، فناداها الحق من جميع العالم فاجتمعت ، فكان من جمعيتها الإنسان ، فهو خزانتها، فوجوه العالم مصروفة إلى هذه الخزانة الإنسانية، لترى ما ظهر عن نداء الحق بجميع هذه الحقائق ، فرأت صورة منتصبة القامة ، مستقيمة الحركة معيّنة الجهات ، وما رأى أحد من العالم مثل هذه الصورة الإنسانية ، ومن ذلك الوقت تصورت الأرواح النارية والملائكة في صورة الإنسان ، وهو قوله تعالى : ﴿ فتمثل لها بشراً سويا ﴾ وقول رسول الله ﷺ : « وأحياناً يتمثل لي الملَك رجلا » فإن الأرواح لاتتشكل إلا فيما تعلمه من الصور ،

ولا تعلم شيئاً منها إلا بالشهود ، فكانت الأرواح تتصور في كل صورة في العالم إلا في صورة الإنسان قبل خلق الإنسان ، فإن الأرواح وإن كان لها التصور ، فما لها القوة المصورة كما للإنسان ، فإن القوة المصورة تابعة للفكرة التي هي صفة القوة المفكرة ، فالتصور للأرواح من صفات ذات الأرواح النفسية لا المعنوية ، لا لقوة مصورة تكون لها ، إلا أنها وإن كان لها التصور ذاتياً ، فلا تتصور إلا فيما أدركته من صور العالم الطبيعي ، فجميع العالم برز من عدم إلى وجود إلا الإنسان وحده ، فإنه ظهر من وجود إلى وجود ، من وجود فرق إلى وجود جمع ، فتغير عليه الحال من افتراق إلى اجتماع ، والعالم تغير عليه الحال من عدم إلى وجـود ، فبين الإنسان والعالم مابين الوجود والعدم ، ولهذا ليس كمثل الإنسان في العالم شيء . (ف ح ٣/٣٩٠) .

معنى الكمال :

اعلم أن العالم كله لولا الإنسان الكامل ما وُجِد ، وأنه بوجوده صح المقصود من العلم الحادث بالله ، والوجود الحادث الذي هو على صورة الوجود القديم ، فإن العلم بالله ـ المُحدَث ـ الذي هو على صورة العلم بالله ـ القديم ـ لايتمكن أن يكون إلا لمن هو في خلقه على الصورة ، وليس غير الإنسان الكامل ، ولهذا سمي كاملًا ، وأنه روح العالم ، والعالم مُسَخَّر له علوه وسفله ، وأن الإنسان الحيوان من جملة العالم المسخر له ، وأنه يشبه الإنسان الكامل في الصورة الظاهرة ، لا في الباطن من حيث الرتبة ، كما يشبه القرد الإنسان في جميع أعضائه الظاهرة ، فتأمل درجة الإنسان الحيوان من درجة الإنسان الكامل ، واعلم أنك العـين المقصـودة ، فما وجـدت الأسبـاب إلا بسببـك ، لتظهر أنت ، فما كانت مطلوبة لأنفسها ، فإن الله لمّا أحب أن يُعرَف ، لم يمكن أن يعرفه إلا من هو على صورته ، وما أوجد الله على صورته أحداً إلا الإنسان الكامل ، قال ﷺ : « كمل من الرجال كثيرون ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية » يعني بالكمال معرفتهم بهم ، ومعرفتهم بهم هو عين معرفتهم بربهم ، فمن وقف على الحقائق كشفاً وتعريفاً إلهياً فهو الكامل الأكمل ، ومن نزل عن هذه الـرتبة فهو الكامل ، وما عدا هذين فإما مؤمن أو صاحب نظر عقلي ، لا دخول لهما في الكمال ، فكيف في الأكملية ؟! (ف ح ٣/٢٦٦ ـ ح ٢/٦٩ ـ ح٤/٤٠٥) .

ولما لم يتمكنْ أن يكون كل إنسان له مرتبة الكمال المطلوبة في الإنسانية ـ وإن كان يفضل بعضهم بعضاً ـ فأدناهم منزلة مَنْ هو إنسان حيواني ، ويشارك الإنسان الكامل بالصورة الإنسانية ، وأعلاهم من هو ظل الله ، وهو الإنسان الكامل نائب الحق ، الذي يكون الحق لسانه وجميع قواه ، ومابين هذين المقامين مراتب ، ففي زمان الرسل يكون الكامل رسولاً ، وفي زمان انقطاع الرسالة يكون الكامل وارثاً ، ولا ظهور للوارث مع وجود الرسول ، إذ الوارث لايكون وارثاً إلا بعد موت من يرثه ، فلم يتمكن للصاحب مع وجود الرسول أن تكون له هذه المرتبة ، فلا تطمع في تخصيصك بشريعة ناسخة من عنده ، ولا في إنزال كتاب ، فقد أغلق ذلك الباب ، فإن نهاية الولي أن يُشْرِف على خطاب شريعة نبيه ، وتـزول القدم من قدامه ، فتكون له درجة ميراث النبوة في أخذ الشريعة التي هو عليها ، لا شريعة ناسخة لها ، فتبقى الشريعة عليه محفوظة ، ويعلو سنده فيها ، إذ كان محمد ﷺ لبنة الحائط ، فكل دليل على مخالفته ساقط ، فليست الصورة الإلهية لكل نَفْس ، وإنما هي للنفس الكاملة ، كنفوس الأنبياء ومن كمل من الناس ، والأمر ينزل من الله على الدوام لاينقطع ، فلا يقبله إلا الرسل خاصة على الكمال ، فإذا فقدوا ، حينئذ أوجد ذلك الإستعداد في غير الرسل ، فقبلوا ذلك التنزيل الإلهي في قلوبهم ، فسموا ورثة ، ولم ينطلق عليهم اسم رسل مع كونهم يخبرون عن الله بالتنزيل الإلهي . (ف ح ٣/ ٢٧٠ ـ ح ٤/ ١١٢ ـ ح ٣/ ٢٧٠ ـ كتاب الإسراء / سماء الشرطة ـ كتاب النجاة ـ ف ح ٢/ ١٥٩ ـ ح ٣/ ٢٧٠) .

الفرق بين الإنسان الكامل والإنسان الحيوان :

اعلم أن جميع مايعمله الحيوان من الصنائع ومايعلمه ، ليس عن تدبير ولا روية ، بل هو مفطور على العلم بما يصدر عنه ، لايعرف من أين حصل له ذلك الإتقان والإحكام ، كالعناكب والنحل والزنابير ، بخلاف الإنسان فإنه يعلم أنه ما استنبط أمراً من الأمور إلا عن فكر وروية وتدبير ، فيعرف من أين صدر هذا الأمر ، وسائر الحيوان يعلم الأمر ولا يعلم من أين صدر ، وبهذا القدر سمي إنساناً لاغير ، وهي حالة يشترك فيها جميع الناس إلا الإنسان الكامل ، فإنه زاد على الإنسان الحيواني في الدنيا بتصريفه الأسماء

الإلهية ، التي أخذ قواها لما حداه الحق عليها ، حين حذاه على العالم ، فجعل الإنسان الكامل خليفة عن الإنسان الكل الكبير ، والإنسان الحيوان يزاحم الإنسان الكامل بالقوة ، فيما لايكون من الإنسان الكامل إلا بالفعل ، وأن الإنسان الكامل يخالف الإنسان الحيوان في الحُكْم ، فإن الإنسان الحيوان يُرْزَق رزق الحيوان ، وهو للكامل وزيادة ، فإن الكامل له رزق إلهي لاينـاله الإنسان الحيوان ، وهو ما يتغذى به من علوم الفكر ، الذي لايكون للإنسان الحيوان ، والكشف والذوق والفكر الصحيح . (ف ح ٢٩٧/٣ ، ٣٥٧) .

فإذا لم يحز الإنسان رتبة الكمال فهو حيوان ، تشبه صورته الظاهرة صورة الإنسان ، فأين الإنسـان الحيوان من الإنسـان المخلوق على صورة الرحمن ؟! فهو النسخة الكاملة والمدينة الفاضلة . (ف ح ٤٦٨/٢ ـ ح ٣٩٨/٤) .

العالم على صورة الحق :

اعلم أنه لايصح أن يكون شيء من العالم له وجود ليس هو صورة الحق ، فنسبة الحق إلى الخلق نسبة الإنسان إلى كل صنف من العالم ، ماعدا نوع الإنسان ، فإن ظهور العالم عن الحق ظهور ذاتي ، فالحق مرآة العالم ظهر فيها صور العالم ، فرأت الممكنات نفسها في مرآة الوجود الحق ـ راجع ص ٢٦ ـ . (ف ح ٤٠٩/٣ ـ ح ٢١/٤).

الإنسان الكامل على صورة العالم ومختصَرُه :

العـالم عنـد الجماعة هو إنسان كبير في المعنى والجرم ، يقول الله تعالى : ﴿ لخلق السمـوات والأرض أكـبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ فلذلك قلنا في المعنى ، وما نفى العلم عن الكل وإنما نفاه عن الأكثر ، والإنسان الكامل من العالم ، وهو له كالروح لجسم الحيوان ، وهو الإنسان الصغير ، وسمي صغيراً لأنه انفعل عن الكبير ، وهـو مختصر ، فالمطول العـالم كله والمختصر الإنسان الكامل ، فالإنسان آخر موجود في العالم ، لأن المختصر لايختصر إلا من مطول وإلا فليس بمختصر ، فالعالم مختصر الحق ، والإنسان مختصر العالم والحق ، فهو نقاوة المختصر ، أعني الإنسان الكامل ، وأما الإنسان

الحيوان فإنـه مختصر العـالم ، ولـه يفـرغ الحق ليقيم عليه ميزان ماخُلِق له ، فإن قوله : ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ كلمة تهديد ، والإنسان الكامل لايتوجه عليه هذا الخطاب ، فالإنسـان فيه منـاسب من كل شيء في العـالم ، فيضـاف كل مناسب إلى مناسبه بأظهر وجوهه ، وتخصصه الحال والوقت والسماع بمناسب ما ، دون غيره من المناسب ، إذا كان له مناسبات كثيرة لوجوه كثيرة يطلبها بذاته .

(ف ح ٤٠٩/٤ ـ ح ٣٣١/٣ ، ٣١٥ ـ كتاب الأعلاق) .

الإنسان الكامل على الصورة الإلهية :

لما كان الخلق على مراتب كثيرة، وكان أكمل مرتبة فيه الإنسان، كان كل صنف من العالم جزءاً بالنظر إلى كمال الإنسان، حتى الإنسان الحيوان جزء من الإنسان الكامل، ولما حصل في سمع الإنسان أنه مخلوق على صورة الحق، ولم يفرق بين الإنسان الكامل والإنسان الحيوان، وتخيل أن الإنسان لكونه إنساناً هو على الصورة، وما هو كما وقع له، ولكنه بما هو إنسان هو قابل للصورة، إذا أعطيها لم يمتنع من قبولها، فإذا أعطيها عند ذلك يكون على الصورة، ويُعَدُّ من جملة الخلفاء، فلا يتصرف من هو على الصورة إلا تصرف الحق بها ، وتصرف الحق عين ما هو العالم عليه وفيه ، وأنت تعلم بكل وجه ما العالم فيه ، من مُكَلَّف وغير مُكَلَّف ، وما يُنْكَر ويُعَرف ، ولا يَعرِفُ ما يُنْكَر وما يُعَرفَ من العالم المكَلَّف إلا الخليفة ، وهو صاحب الصورة . (ف ح ٤٠٩/٣ ـ ج ٨٥/٤) .

ولولا ماخلق الله من خلق على صورته ما قال : الله أكبر ، لما في هذه الكلمة من المفاضلة ، فما جاء أكبر إلا من كونه الأصل ، فعليه حذا الإنسان الكامل ، وقال : ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ لما نسوا صورتهم ، فصحت المفاضلة ، وليس إلا أن السموات والأرض هما الأصل في وجود الهيكل الإنساني ونفسه الناطقة ، فالسموات ما علا والأرض ما سفل ، فهو منفعل عنهما ، والفاعل أكبر من المنفعل ، وما أراد الجرم ، لقوله : ﴿ ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ ولذلك فكل ثناء أثنى الله به على الإنسان الكامل هو ثناء على نفسه ، لأنه أوجده على صورته . (ف ح ٤١٥/٤ ـ ح ٤١٢/٣) .

الإنسان الكامل هو الحق المخلوق به :

لما كان الإنسان الكامل هو المخلوق على الصورة الإلهية ، فهو الحق المخلوق به ، أي المخلوق بسببه العالم ، فإن الإنسان الكامل أكمل الموجودات ، وهو الغاية ، ولما كانت الغاية هي المطلوبة بالخلق المتقدم عليها ، فما خلق ما تقدم عليها إلا لأجلها وظهور عينها ، ولولاها ما ظهر ما تقدمها ، فالغاية هو الأمر المخلوق بسببه ما تقدم من أسباب ظهوره ، وهو الإنسان الكامل ، وإنما قلنا الكامل لأن اسم الإنسان قد يطلق على المشبه به في الصورة ، كما تقول في زيد إنه إنسان ، وفي عمرو إنه إنسان ، وإن كان زيد قد ظهرت فيه الحقائق الإلهية ، وما ظهرت في عمرو ، فعمرو على الحقيقة حيوان في شكل إنسان ، ففي الإنسان قوة كل موجود في العالم ، فله جميع المراتب ، ولهذا اختص وحده بالصورة ، فجمع بين الحقائق الإلهية وهي الأسماء ، وبين حقائق العالم ، فإنه آخر موجود ، فما انتهى لوجوده النفس الرحماني حتى جاء معه بقوة مراتب العالم كله ، فيظهر بالإنسان ما لا يظهر بجزء جزء من العالم ، ولا بكل اسم اسم من الحقائق الإلهية ، فإن الاسم الواحد ما يعطي ما يعطي الآخر مما يتميز به ، فكان الإنسان أكمل الموجودات ، فكل ما سوى الإنسان خلق ، إلا الإنسان فإنه خلق وحق . (ف ج ٢/ ٣٩٦) .

حكم الصورة الإلهية على الإنسان :

لما خلق الله الإنسان على صورته ـ وله تعالى العزة والكبرياء والعظمة ـ سرت هذه الأحكام في العبد ، فإنها أحكام تتبع الصورة التي خلق عليها الإنسان وتستلزمها ، فيظهر بالرياسة والتقدم ، وكلما تمكن من التأثير في غيره فإنه يؤثر ، ويجد في نفسه طلب ذلك ، ورجال الله هم الذين لايصرفهم خلقهم على الصورة عن الفقر والذلة والعبودية ، وإذا وجدوا هذا الأمر الذي اقتضاه خلقهم على الصورة ولابد ، ظهروا به في المواطن التي عَيَّنَ الحق لهم أن يظهروا بذلك فيها . (ف ج ٤ /١٣) .

ومن حكم الصورة أن جعل الله الإنسان مِثلًا ضداً خلافاً ، مثل ماهي الأسماء الإلهية ، مثل ضد خلاف ، فإن الحق اعتنى بالإنسان غاية العناية ما لم يعتن بمخلوق ، بكونه جعله خليفة ، وأعطاه الكمال بعلم الأسماء ، وخلقه على الصورة الإلهية ، وأكمل من الصورة الإلهية ما يمكن أن يكون في الوجود ، فالإنسان الكامل مِثْلٌ من حيث الصورة الإلهية ، ضد من حيث أنه لا يصح أن يكون في حال كونه عبداً رباً لمن هو له عبد ، خلاف

من حيث أن الحق سمعه وبصره وقواه ، فأثبته وأثبت نفسه في عين واحدة (إشارة إلى الحديث ـ كنت سمعه وبصره ـ) . (ف ج ٣/ ٢٧٠) .

الإنسان الكامل جامع لصورة الحق وصورة العالم :

لما كان العالم على صورة الحق ، وكان الإنسان الكامل على صورة العالم وصورة الحق ، وهو قوله : إن الله خلق آدم على صورته ؛ فليس في الإمكان أبدع ولا أكمل من هذا العالم ، إذ لو كان لكان في الإمكان ماهو أكمل من صورة الحق فلا يكون ، والإنسان الحيوان هو الصورة الظاهرة التي جمع بها حقائق العالم ، والإنسان الكامل هو الذي أضاف إلى جمعية حقائق العالم حقائق الحق التي بها صحت الخلافة ، وهو قول القائل : « وما على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد[1] » فهو الإنسان الكامل الجامع حقائق العالم وصورة الحق سبحانه وتعالى ، فلو يعلم مَنْ جهل أنه ما من شيء من العالم إلا وله حظ من الصورة الإلهية ، والعالم كله على الصورة الإلهية ، وما فاز الإنسان الكامل إلا بالمجموع ، لابكونه جزءاً من العالم منفعلاً عن السموات والأرض من حيث نشأته ، ومع هذا فهو على الصورة الإلهية ، كما أخبر رسول الله ﷺ : إن الله خلق آدم على صورته ؛ واختُلِف في ضمير الهاء من صورته ، على من يعود ؟ وفي رواية وإن ضعفت على صورة الرحمن ، وما كملت الصورة من العالم إلا بوجود الإنسان ، فمن كل شيء في الوجود زوجان ، لأن الإنسان الكامل والعالم بالإنسان الكامل على صورة الحق ، فامتاز الإنسان الكامل عن العالم ـ مع كونه من كمال الصورة للعالم الكبير ـ بكونه على الصورة بانفراده ، من غير حاجة إلى العالم ، فالإنسان الكامل واحد يقوم مقام الجماعة ، فإنه أكمل من عين مجموع العالم ، إذ كان نسخة من العالم حرفاً بحرف ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾ ويزيد أنه على حقيقة لا تقبل التضاؤل « خلق الله آدم على صورته » فحاز الإنسان الكامل صورة العالم وصورة الحق ، ففضل بالمجموع ، فجعل الحق الإنسان الكامل نسخة من العالم كله ، فما من حقيقة في

---

(١) من الشعر الذي هو برسول الله ﷺ أولى إذ ذاك النعت له حقيقة قول أبي نواس :

أوجده الله فما مثله ... لطالب ذاك ولا ناشد
وما على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

(ف ح/٣٠٧)

العالم إلا وهي في الإنسان ، فهو الكلمة الجامعة وهو المختصر الشريف ، وجعل الحقائق الإلهية التي توجهت على إيجاد العالم بأسره ، متوجهة على إيجاد هذه النشأة الإنسانية الإمامية ، فخلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم ، وأبرزه نسخة كاملة جامعة لصور حقائق المحدث وأسماء القديم ، أقامه سبحانه معنى رابطاً للحقيقتين ، وأنشأه برزخاً جامعاً للطرفين والرقيقتين ، أحكم بيديه صنعته ، وحسن بعنايته صبغته ، وكانت مضاهاته للأسماء الإلهية بخُلُقِه ، ومضاهاته للأكوان العلوية والسفلية بخَلْقِه ، فتميز عن جميع الخلائق ، بالخِلْقة المستقيمة والخلائق ، عَيَّن سبحانه سره مثالاً في حضرة الأسرار ، وميز نوره من بين سائر الأنوار . ونصب له كرسي العناية بين حضرتيه ، وصرف نظر الولاية والنيابة فيه وإليه . (ف ج ٤/٢١ ـ ج ٣/٤٣٧ ، ٤٤٧ ـ ج ٤/٢٣٠ ، ٢٣١ ، ١٣٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ـ ج ٣/١٥٢ ـ كتاب عقلة المستوفز) .

الإنسان الكامل أعظم رحمة من كل مخلوق لأنه ظل الله في أرضه :

خلق الحق الإنسان الكامل على صورته ، ونصبه دليلاً على نفسه ، لمن أراد أن يعرفه بطريق المشاهدة لا بطريق الفكر ، الذي هو طريق الرؤية في آيات الآفاق ، وهو قوله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق ﴾ ثم لم يكتف بالتعريف حتى أحال على الإنسان الكامل ، الذي نصبه دليلاً أقرب على العلم بطريق الكشف والشهود ، فإن الإنسان لما كان مثال الصورة الإلهية ، كالظل للشخص الذي لا يفارقه على كل حال ، غير أنه يظهر للحس تارة ويخفى تارة ، فإذا خفي فهو معقول فيه ، وإذا ظهر فهو مشهود بالبصر لمن يراه ، فالإنسان الكامل في الحق معقول فيه ، كالظل إذا خفي في الشمس فلا يظهر ، فلم يزل الإنسان أزلاً وأبداً ، ولهذا كان مشهوداً للحق من كونه موصوفاً بأن له بصراً ، فلما مد الظل منه ظهر بصورته ﴿ ألم ترَ إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ﴾ أي ثابتاً فيمن هو ظله ، فلا يمده ، فلا يظهر له عين في الوجود الحسي إلا لله وحده ، فلم يزل مع الله ولا يزال مع الله ، فهو باق ببقاء الله ، وماعدا الإنسان الكامل فهو باق بإبقاء الله ، فقال أهل الشهود كفانا ﴿ ألم ترَ إلى ربك كيف مد الظل ﴾ فذكر الكيف ، والظل لا يخرج إلا على صورة من مده منه ، فخلقه رحمة ، فمد الظل رحمة واقية ، فلا مخلوق أعظم رحمة من

الإنسان الكامل ، ولا أحد من المخلوقين أشد بطشاً وانتقاماً من الإنسان الحيواني ، فالإنسان الكامل وإن بطش وكان ذا بطش شديد فالإنسان الحيواني أشد بطشاً منه . (ف ح ٣/٢٨١ - ١٨٧ - ٢٨١) .

الإنسان الكامل حامل السر الإلهي وهو كلمة «كن» :

لم يرد نص عن الله ولا عن رسوله في مخلوق أنه أعطي « كن » سوى الإنسان خاصة ، فظهر ذلك في وقت في النبي ﷺ في غزوة تبوك فقال « كن أبا ذر » فكان أبا ذر ، وورد الخبر في أهل الجنة أن الملك يأتي إليهم فيقول لهم بعد أن يستأذن في الدخول عليهم ، فإذا دخل ناولهم كتاباً من عند الله بعد أن يسلم عليهم من الله ، فإذا في الكتاب لكل إنسان يخاطب به : من الحي القيوم الذي لايموت إلى الحي القيوم الذي لايموت ، أما بعد ، فإني أقول للشيء كن فيكون ، وقد جعلتك تقول للشيء كن فيكون ، فقال ﷺ : « فلا يقول أحد من أهل الجنة للشيء كن إلا ويكون » فجاء بشيء وهو من أنكر النكرات فعَمَّ ، وغاية الطبيعة تكوين الأجسام وماتحمله مما لا تخلو عنه وتطلبه بالطبع ، ولاشك أن الأجسام بعض العالم فليس لها العموم ، وغاية النفس تكوين الأرواح الجزئية في النشآت الطبيعية ، والأرواح جزء من العالم ، فلم يعم ، فما أعطي العموم إلا الإنسان الكامل حامل السر الإلهي ، فكل ماسوى الله جزء من كل الإنسان ، فاعقل إن كنت تعقل . (ف ح ٢٩٥/٣) .

الإنسان الكامل عمد السماء :

اعلم أن الإنسان الكامل عمد السماء ، الذي يمسك الله به وجود السماء أن تقع على الأرض ، فإذا زال الإنسان الكامل وانتقل إلى البرزخ هوت السماء ، وهو قوله تعالى : ﴿ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴾ أي ساقطة إلى الأرض ، فلابد من فرش وعرش ، فهي المهاد الموضوع وأنت السقف المرفوع ، بينكما عمد قائم ، عليه اعتماد السبع الشداد ، لكنه عن البصر محجوب ، فهو ملحق بالغيوب ، ألم تسمع قول من أوجد عينها ، فأقامها بغير عمد ترونها ، فما نفى العمد ، لكن مايراه كل أحد ، فلابد لها من ماسك ، وما هو

إلا المالك ، فمن أزالها بذهابه ، فهو عمدها المستور في إهابه ، وليس إلا الإنسان الكامل ، وهو الأمر الشامل ، الذي إذا قال : الله ، ناب بذلك القول عن جميع الأفواه ، فهو المنظور إليه والمعول عليه . (ف ح ٣/٤١٨ - ح ٤/٣٩٦) .

فالإنسان الكامل أكمل من عين مجموع العالم ، إذ كان نسخة من العالم حرفاً بحرف ويزيد ، فإذا قال : « الله »، نطق بنطقه جميع العالم من كل ما سوى الله ، ونطقت بنطقه أسماء الله كلها المخزونة في علم غيبه ، والمستأثرة التي يخص الله تعالى بمعرفتها بعض عباده ، والمعلومة بأعيانها في جميع عباده ، فقامت تسبيحته مقام تسبيح ما ذكرته ، فأجره غير ممنون . (ف ح ٢/٦١٦) .

الإنسان الكامل رداء الحق فلا أجمل منه :

الكبرياء رداء الحق ، وليس سواك ، فإن الحق تردى بك إذ كنت صورته ، فإن الرداء على صورة المرتدي ، فالواحد رداء وهو الذي ظهر ، وهو الخليفة المبدَع بفتح الدال ، والآخر مرتد وهو الذي خفي ، وهو القديم المبدِع ، فلا يعرف المرتدي إلا باطن الرداء ، وهو الجمع ، ويصير الرداء على شكل المرتدي ، قال تعالى : وسعني قلب عبدي ؛ فإذا قلبت الإنسان الكامل رأيت الحق ، والإنسان لاينقلب ، فلا يرجع الرداء مرتدَياً لمن هو له رداء ، فالإنسان الكامل له الإحاطة ، وليس سوى ما حازه من صورته ، فإن الرداء يحيط بالمرتدي ، وما تردى الرحمن برداء أحسن من الإنسان ولا أكمل ، لأنه خلقه على صورته ، وجعله خليفة عنه في أرضه ، ثم شرع له أن يستخلفه على أهله ، فلولا أن الحق أعطاه الاستقلال بالخلافة ، ماقال له عن نفسه تعالى آمراً : ﴿ فاتخذه وكيلا ﴾ ولا قال ﷺ : « اللهم أنت الخليفة في الأهل والصاحب في السفر » ؛ وهو القائل : « إن الله أدبني فأحسن أدبي » والرداء للتجمل فله الجمال ، فلا أجمل من الإنسان إذا كان عالماً بربه . فلا يشهد العالَمُ سوى الإنسان الذي هو الرداء ، والرداء من حيث ظاهره يشهد من يشهده وهو العالم ، فيرى الحق ظاهر الرداء بما هو الحق العالم ، وهو رؤية دون رؤية باطن الرداء ، فالعالِم له الإحاطة لأنه لايتقيد بجهة خاصة ، فالحق وجه كله ، والرداء وجه كله ، فهو الظاهر تعالى للعبد من حيث العالم ، وهو الباطن لنفسه عن العالم ، من حيث ما له صورة

في العالم ، ومن حيث أن الرداء بينه وبين العالم ، فإن الصورة التي للحق في عين العالم الحق لها باطن ، من حيث أن الرداء حائل بينه وبين الحق الذي العالم به ، فهو باطن لنفسه وللعالم ، ولايصح أن يكون باطناً لباطن الرداء لكن لظاهره ، فالإنسان الكامل يشهده تعالى في الظاهر بما هو في العالم ، وفي الباطن بما هو مرتد ، فتختلف الرؤية على الإنسان الكامل والعين واحدة ، ولهذا ينكره بعض الناس في القيامة إذا تجلى ، والكامل لاينكره ، فإنه ما كل إنسان له الكمال ، فما ينكره إلا الإنسان الحيوان لأنه جزء من العالم ، فإذا تجلى له في العلامة وتحول فيها عرفه ، لأنه ما يعرفه إلا مقيداً ، فالإنسان الكامل هو المعبر عنه بالرداء عند بعضهم ، وبالثوب عند آخرين ، فإن الرداء والثوب هو محل الصفات وافتراق الجمع ، فغاية معرفة العباد أن تصل إليه إن وصلت ، والحق وراء ذلك كله أو قل مع ذلك كله .

(ف ح ٤/٢٤٥ ـ ح ١/٦٤ ـ ح ٤/٢٤٥ ، ٤٠٨ ، ٢٤٦ ـ ح ١/١٠٣ ، ١١٢) .

وللتعريف والتنبيه على التقويم الأكمل الأحسن ، والخَلْق الأجمل الأتقن ، المحفوظ المصون ، في آلم والتين والزيتون[1] ، والذي نبه عليه الشيخ رضي الله عنه بالقبس ، في حضرة القدس ، فقال : قال السالك : كان بعض ماقيل لي في ذلك التشريف والتنزيه ، والتعريف والتنبيه ، أن قال : عبدي أنت حمدي ، وحامل أمانتي وعهدي ، أنت طولي وعرضي ، وخليفتي في أرضي ، والقائم بقسطاس حقي ، والمبعوث إلى جميع خلقي ، عالمك الأدنى بالعدوة الدنيا ، والعدوة القصوى ، أنت مرآتي ، ومجلى صفاتي ، ومُفصِّل أسمائي ، وفاطر سمائي ، أنت موضع نظري من خَلْقي ، ومجتمع جمعي وفرقي ، أنت ردائي ، وأنت أرضي وسمائي ، وأنت عرشي وكبريائي ، أنت الدرة البيضاء ، والزبرجدة الخضراء ، بك ترديت ، وعليك استويت ، وإليك أتيت ، وبك إلى خلقي تجليت . . . الخ .

(كتاب الإسراء/ مناجاة التشريف والتنزيه) .

الإنسان الكامل في التحقق بالفقر والغنى :

للإنسان وجهان إذا كان كاملاً ، وجه افتقار إلى الله ووجه غنى إلى العالم ، فيستقبل العالم بالغنى عنه ، ويستقبل ربه بالافتقار إليه ، وأما الإنسان الحيوان الذي لامعرفة له

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى عن الإنسان الكامل ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ .

بربـه ، فهو فقير إلى العالم أبداً ، فمن ذاق طعم الغنى عن العالم ـ وهو يراه عالماً ـ فإنه محجوب عن المقام الأرفع في حقه ، لأن العالم مشهود له ، ولهذا اتصف بالغنى عنه ، فلو كان الحق مشهوده ـ وهو ناظر إلى العالم ـ لا تصف بالفقر إلى الله ، وحاز المقام الأعلى في حقه ، وهو ملازمة الفقر إلى الله ، لأن في ذلك ملازمة ربه عز وجل . (ف ح ٤ /٣٠٨) .

ومع ذلك ترى الكامل يحزن ، من جهة مَنْ كلَّفه الله النظر في تحصيل مايقوم بهم ويقوتهم من أهله ، وما يهتم بذلك إلا متشرع أديب ، عانق الأدب وعرف قدر ما شرع له من ذلك ، فإن طريق الأدباء طريق خفية لايشعر بها إلا الراسخون في العلم ، المحققون بحقائق الفهم عن الله ، فكما أن الله ليس بغافل عما يحتاج إليه عباده ، كذلك أهل الله لايغفلون عما قال لهم الحق احضروا معه ولا تغفلوا عنه ، فترى الكامل حريصاً على طلب مؤنة أهله ، فيتخيل المحجوب أن ذلك الحرص منه لضعف يقينه ، وكذلك في ادخاره ، وليس ذلك منه إلا ليوفي الأدب حقه مع الله فيما حد له من الوقوف عنده . (ف ح ٤/٣٠٩) .

علامة الإنسان الكامل من نفسه :

اعلم أنك لا تعلم أنك على الصورة ، مالم تعلم قوله ﷺ : « المؤمن مرآة أخيه » ؛ فيرى المؤمن نفسه في مرآة أخيه ، ويرى الآخر نفسه فيه ، وليس ذلك إلا في حضرة الاسم الإلهي المؤمن ، قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ وقال ﷺ : « المؤمن كثير بأخيه » كما أنه واحد بنفسه ، فيعلم أن الأسماء الإلهية كلها كالمؤمنين إخوة ﴿ فأصلحوا بين أخويكم ﴾ يعني إذا تنافروا ، كالمعز والمذل ، والضار والنافع ، وأما ماعدا الأسماء المتقابلة فهم إخوان على سرر متقابلين ، وليس يصلح بين الأسماء إلا الاسم الرب ، فإنه المصلح ، والمؤمن من حيث ماهو مرآة ، فمن رأى نفسه هكذا ، علم أنه خليفة من الخلفاء بما رآه من الصورة ، والإنسان الحيوان لا مرآة له ، وإن كان له شكل المرآة ، لكنها ما فيها جلاء ولا صقالة ، قد طلع عليها الصدأ والران . (ف ح ٣/ ٣٧٠) .

وماجعل الحق تعالى لواحد مما سوى الله أمراً في العالم ولا نهياً ، ولا خلافة ولا تكويناً عاماً ، وجعل ذلك للإنسان الكامل ، فمن أراد أن يعرف كماله ، فلينظر في نفسه ، في أمره

ونهيه ، وتكوينه بلا واسطة لسان ولا جارحة ولا مخلوق غيره ، فإن صح له **المعنى** في ذلك ، فهو على بينة من ربه في كماله ، فإنه عنده شاهد منه أي من نفسه ، فإن أمر أو نهى أو شرع في التكوين بوساطة جارحة من جوارحه ، فلم يقع شيء من ذلك ، أو وقع في شيء دون شيء ولم يعم ، مع عموم ذلك بترك الواسطة ، فقد كمل ، ولا يقدح في كماله ما لم يقع في الوجود عن أمره بالواسطة ، فإن الصورة الإلهية بهذا ظهرت في الوجود ، فإنه تعالى أمر عباده على ألسنة رسله عليهم السلام وفي كتبه ، فمنهم من أطاع ومنهم من عصى ، وبارتفاع الوسائط لا سبيل إلا الطاعة خاصة ، لايصح ولا تمكن إباية ، فيشترك الإنسان الحيوان مع الكامل في الأدوات الصناعية ، التي بها يتوصل إلى مصنوع ما مما يفعل بالأيدي ، ويزيد الكامل عليه بالفعل بالهمة ، فأدواته همته ، وهي له بمنزلة الإرادة الإلهية إذا توجهت على إيجاد شيء ، فمن المحال أن لايكون ذلك الشيء المراد ، ومن هنا قال من قال : إن الخيال هو الحقيقة المعبر عنه بالإنسان الكامل ، فإنه أثبت إلحاق الخيال في قوة الإيجاد بالحق ماعدا نفسه ، فإنه ماثَمَّ على الصورة الحقية مثله ، فإنه يوجد في نفسه كل معلوم ماعدا نفسه ، والحق نسبة الموجودات إليه مثل هذه النسبة . (ف ح ٣/٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٢٩٠) .

ومع هذا التمكن والتحقق ، فإذا أقامك الحق في العبودة المطلقة ، التي ما فيها ربوبية ، فأنت خليفة له حقاً ، فإنه لا حكم للمستخلف فيها ولى فيه خليفة عنه جملة واحدة ، فاستخلفه في العبودة ، فلا حظَّ للربوبية فيها ، لأن الخليفة استقل بها استقلالاً ذاتياً ، فهو بيد الله وفي ملك الله . (ف ح ٣/٣٧١) .

الملائكة جهلت الإنسان الكامل ومرتبته :

إنَّ الله ما خلق أولاً من هذا النوع إلا الكامل وهو آدم عليه السلام ، ثم أبان الحق عن مرتبة الكمال لهذا النوع ، فمن حازها منه فهو الإنسان الذي أريده ، ومن نزل عن تلك المرتبة ، فعنده من الإنسانية بحسب ماتبقى له ، وليس في الموجودات مَنْ وسع الحق سواه ، وما وسعه إلا بقبول الصورة ، فهو مجلى الحق ، والحق مجلى حقائق العالم بروحه الذي هو الإنسان ، الذي هو آخر نوع ظهر ، فأوليته حق وآخريته خلق ، فهو الأول من حيث الصورة الإلهية ، والآخر من حيث الصورة الكونية ، والظاهر بالصورتين ، والباطن عن

الصورة الكونية بما عنده من الصورة الإلهية ، وقد ظهر حكم هذا في عدم علم الملائكة بمنزلته ، مع كون الله قد قال لهم إنّه خليفة ، فكيف بهم لو لم يقل لهم ذلك ؟! فلم يكن ذلك إلا لبطونه عن الملائكة ، وهم من العالم الأعلى العالِم بما في الآخرة وبعض الأولى ، فإنهم لو علموا مايكون في الأولى ما جهلوا رتبة آدم عليه السلام مع التعريف . (ف ح ٤٦٨/٢) .

السجود من الملائكة دائم للإنسان الكامل بعد ما تحققت رتبته :

قال ﷺ : « أطت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع شبر إلا وفيه ملك ساجد لله » فأخبر في قوله ساجد لله ، لينبه على نظر كل ملك في السماء إلى الأرض ، لأن السجود التطأطؤ والانخفاض ، وقد عرفوا أن الأرض موضع الخليفة ، وأمروا بالسجود فطأطؤا عن أمر الله ، ناظرين إلى مكان هذا الخليفة ، حتى يكون السجود له ، لأن الله أمرهم بالسجود له ، ولم يزل حكم السجود فيهم لآدم وللكامل أبداً دائماً ، فعند الملأ الأعلى ازدحام لرؤية الإنسان الكامل ، كما يزدحم الناس عند رؤية المِلِكِ إذا طلع عليهم ، فأطت السماء لازدحامهم . (ف ح ١٥٢/٣) .

من عرف الإنسان الكامل عرف الحق :

إن الإنسان الكامل بنفسه عرف الحق ، والإنسان الحيوان عرفه بعقله بعد ما استعمل آلة فكره ، فلا الملَك عرف الإنسان الكامل باعتراضه ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ لأنه ما شاهده من جميع وجوهه ، ولا الإنسان الحيوان عرفه بعقله من جميع وجوهه ، فجهل الكل الإنسان الكامل فجهلوا الحق ، فما عرف الحق إلا الإنسان الكامل ، ولهذا وصفته الأنبياء بما شهدوه ، وأنزل عليهم بصفات المخلوقين لوجود الكمال الذي هو عليه الحق ، وما وصل إلى هذه المعرفة بالله لا ملك ولا عقل إنسان حيواني ، فإن الله حجب الجميع عنه ، وما ظهر إلا للإنسان الكامل ، الذي هو ظله الممدود ، وعرشه المحدود ، وبيته المقصود ، والموصوف بكمال الوجود ، فلا أكمل منه ، لأنه لا أكمل من الحق تعالى ، فعلمه الإنسان الكامل من حيث عقله وشهوده ، فجمع بين العلم البصري الكشفي وبين العلم العقلي الفكري ،

فمن رأى أو من علم الإنسان الكامل الذي هو نائب الحق فقد علم من استنابه واستخلفه ، فإنه بصورته ظهر . (ف ح ٢٨٢/٣) .

فلا يعرف قدر الحق إلا من عرف الإنسان الكامل ، الذي خلقه الله على صورته ، وهي الخلافة ، لأن الحق وصف نفسه في الصورة الظاهرة باليدين والرجلين والأعين وشبهِ ذلك ، مما وردت به الأخبار ، مما يقتضيه الدليل العقلي من تنزيه حكم الظاهر من ذلك في المحدثات عن جانب الله ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ « فحق قدره » إضافة ما أضافه إلى نفسه ، مما ينكر الدليل إضافته إليه تعالى ، إذ لو انفرد دون الشرع لم يضف شيئاً من ذلك إليه ، فمن أضاف مثل هذا إليه عقلاً فذلك هو الذي ما قدر الله حق قدره ، وما قال أخطأ المضيف ، ومن أضافه شرعاً وشهوداً ، وكان على بينة من ربه ، فذلك الذي قدر الله حق قدره ، فالإنسان الكامل ـ الذي هو الخليفة ـ قدر الحق ظاهراً وباطناً ، صورة ومنزلة ومعنى . (ف ح ١٣٢/٤ ، ١٣٣) .

الشرع يقبله عقل وإيمان	وللعقول موازين وأوزان
عند الإله علوم ليس يعرفها	إلا لبيب له في الوزن رجحان
فالأمر عقل وإيمان إذ اشتركا	في حكم تنزيهه مافيه خسران
وثم ينفرد الإيمان في طبق	بما تماثله بالشرع أكوان
والعقل من حيث حكم الفكر يدفعه	بما يؤيده في ذاك برهان
لو أن غير رسول الله جاء به	في الحين كفره زور وبهتان
إذا تأوله من غير وجهته	وقال ما لي على ما قال سلطان
لله في ذاك سرٌ ليس يعلمه	إلا فُريد وذاك الفرد إنسان
قد كمَّل الله في الإنشاء صورته	بصورة الحق فالقرآن فرقان
العين واحدة والحكم مختلف	للجانبين فما في النشء نقصان

فكل معرفة لجزء من العالم بالله معرفة جزئية إلا الإنسان ، فإن معرفته بالله معرفة العالَمِ كله بالله ، فعلمه بالله علم كلي لا علم كل ، إذ لو كان علماً كُلًّا لم يؤمر أن يقول ﴿ رب

زدني علماً ﴾ أترى ذلك علماً بغير الله ؟ لا والله ، بل بالله ، فخَلَق الإنسان الكامل على صورته ، ومكّنه بالصورة من إطلاق جميع أسمائه عليه ، فرداً فرداً وبعضاً بعضاً ، لاينطلق عليه مجموع الأسماء معاً في الكلمة الواحدة ، ليتميز الرب من العبد الكامل ، فما من اسم من الأسماء الحسنى ـ وكل أسماء الله حسنى ـ إلا وللعبد الكامل أن يدعى بها ، كما له أن يدعو سيده بها . (ف ح ٤٠٩/٣) .

من كمال معرفة الإنسان الكامل :

لما كان العارف المكمل المعرفة يعلم أن فيه من يطلب مشاهدة ربه ، ومعرفتَه الفكرية ، والشهودية ، تعين عليه أن يؤدي إليهم حقهم من ذلك ، وعلم أن فيه من يطلب المأكل الشهي الذي يلائم مزاجه ، والمشرب والمنكح والمركب والملبس والسماع والنعيم الحسي المحسوس ، فتعين عليه أيضاً أن يؤدي إليهم حقوقهم من ذلك ، التي عيَّن لهم الحق ، ومن كان هذا حاله ، كيف يصح له أن يزهد في شيء من الموجودات ؟ وما خلقها الله إلا له ، إلا أنه مفتقر إلى علم ما هو له وما هو لغيره . (ف ح ١١٣/٤) .

الإنسان الكامل والخلافة :

لابد للخليفة أن يظهر بكل صورة يظهر بها من استخلفه ، فلابد من إحاطة الخليفة بجميع الأسماء والصفات الإلهية ، التي يطلبها العالم الذي ولاه عليه الحق سبحانه ، فجعل الله الإنسان الكامل في الدار الدنيا إماماً وخليفة ، وأعطاه علم الأسماء لما تدل عليه من المعاني ، وسخر لهذا الإنسان وبنيه وما تناسل منه جميع ما في السموات وما في الأرض ، فما حصل الإنسان الكامل الإمامة ، حتى كان علّامة ، وأعطي العلامة ، وكان الحق أمامه ، ولايكون مثله ، حتى يكون وجهاً كله ، فكله أمام ، فهو الإمام ، لا خلف يحده ، فقد انعدم ضده ، وما اختص آدم بالخلافة إلا بالمشيئة ، ولو شاء جعلها فيمن جعلها من خلقه ، قلنا : لايصح أن تكون إلا في مسمى الإنسان الكامل ، ولو جمعها في غير الإنسان من المخلوقات ، لكان ذلك الجامع عين الإنسان الكامل ، فهو الخليفة بالصورة التي خلق عليها ، فإن قلت : فالعالم كله إنسان كبير فكان يكفي ، قلنا : لا سبيل ، فإنه لو كان هو

عين الخليفة ، لم يكن ثَمَّ على مَنْ ؟ فلابد من واحد جامع صورة العالم وصورة الحق ، يكون لهذه الجمعية خليفة في العالم من أجل الاسم الظاهر ، يعبر عن ذلك الإمام بالإنسان الكبير القدر ، الجامع الصورتين . (ف ح ٤/٣ - ح ٤٤٢/٣ - ح ٣٨٥/٤ ، ٤٥) .

فالكمال المطلوب الذي خلق له الإنسان إنما هو الخلافة ، فأخذها آدم عليه السلام بحكم العناية الإلهية ، وهو مقام أخص من الرسالة في الرسل ، لأنه ما كل رسول خليفة ، فإن درجة الرسالة إنما هي التبليغ خاصة ، قال تعالى : ﴿ ماعلى الرسول إلا البلاغ ﴾ وليس له التحكم في المخالف ، إنما له تشريع الحكم عن الله أو بما أراه الله خاصة ، فإذا أعطاه الله التحكم فيمن أرسل إليهم ، فذلك هو الاستخلاف والخلافة والرسول الخليفة ، ما كل من أرسل حكم ، فإذا أعطي السيف وأمضى الفعل ، حينئذ يكون له الكمال ، فيظهر بسلطان الأسماء الإلهية ، فيعطي ويمنع ، ويعز ويذل ، ويحيي ويميت ، ويضر وينفع ، ويظهر بأسماء التقابل مع النبوة ، لابد من ذلك ، فإن الله أعطى الإنسان الكامل حكم الخلافة واسم الخليفة ، وهما لفظان مؤنثان لظهور التكوين عنهما ، فإن الأنثى محل التكوين ، فهو في الاسم تنبيه ، ولم يقل فيه نائباً وإن كان المعنى عينه ، ولكن قال : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ، وما قال إنساناً ولا داعياً ، وإنما ذكره وسماه بما أوجده له ، ففائدة خلق الإنسان الكامل على الصورة ، ليظهر عنه صدور الأفعال ، فإن ظهر بالتحكم من غير نبوة فهو مَلِكٌ وليس بخليفة ، فلا يكون خليفة إلا من استخلفه الحق على عباده ، لا من أقامه الناس وبايعوه وقدموه لأنفسهم وعلى أنفسهم ، فهذه هي درجة الكمال ، وللنفوس تعمل مشروع في تحصيل مقام الكمال ، وليس لهم تعمل في تحصيل النبوة ، فالخلافة قد تكون مكتسبة ، والنبوة غير مكتسبة . (ف ح ٢٧٢/٢ - ح ٢٥٦/٣ - ح ٢٧٢/٢) .

إن البذرة والنواة والحبة خزانة لما يظهر منها إذا بذرت في الأرض ، وهذا يدل على علم خروج العالم من الغيب إلى الشهادة ، لأن البذرة لاتعطي ما اختزن الحق فيها إلا بعد دفنها في الأرض ، فتنفلق عما اختزنته من ساق وأوراق وبذور أمثالها ، من النواة نوى ، ومن الحبة حبوب ، ومن البذرة بذور ، فتظهر عينها في كثير مما خرج عنها ، فالكامل من الخلفاء كالحبوب من الحبة ، والنوى من النواة ، والبذور من البذرة ، فيعطي كل حبة ما أعطته الحبة الأصلية ، لاختصاصها بالصورة على الكمال ، وماتميزت إلا بالشخص خاصة ، وما

عدا الخلفاء من العالم ، فلهم من الحق ما للأوراق والأغصان والأزهار ، والأصول من النواة أو البذرة أو الحبة ، ومن هنا يعلم فضل الإنسان الخليفة على الإنسان الحيوان ، الذي هو أقرب شبهاً بالإنسان الكامل ، ثم على سائر المخلوقات . (ف ح ٣/٣٦٩، ٣٧٠) .

فاعلم ما الحبة التي خرج منها العالم ؟ وماأعطت بذاتها فيما ظهر من الحبوب ؟ ولماذا يستند ماظهر منها من سوى أعيان الحبوب ؟ (ف ح ٣/٣٦٩) .

ولما تعدد الكمّل من هذه النشأة ، جعلهم الحق خلائف بعد ما كان خليفة ، فكل كامل خليفة ، وما يخلو زمان عن كامل أصلاً ، فما يخلو عن خليفة وإمام ، فلا تخلو الأرض عن ظهور صورة إلهية ، يعرفها جميع خلق الله ماعدا الثقلين الأنس والجن ، فإنها معروفة عند بعضها ، فيوفون حقها من التعظيم والإجلال لها . (كتاب عقلة المستوفز) .

مَثَلُ الخليفة مع الحق مَثَلُ البدر مع الشمس :

اعلم أن الإبـدار الذي نصبه الله مثالاً في العالم لتجليه بالحكم فيه ، هو الخليفة الإلهي الذي ظهر في العالم بأسماء الله وأحكامه ، وبالرحمة والقهر والانتقام والعفو ، كما ظهر الشمس في ذات القمر ، فأناره كله فسمي بدراً ، فرأى الشمس نفسه في مرآة ذات البدر ، فكساه نوراً سماه به بدراً ، كما رأى الحق نفسه في ذات من استخلفه ، فهو يحكم بحكم الله في العالم ، والحق يشهده شهود من يفيده نور العلم ، قال تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفـة ﴾ وعلمه جميع الأسماء ، وأسجد له الملائكة لأنه علم أنهم إليه يسجدون ، فإن الخليفة معلوم أنه لايظهر إلا بصفة من استخلفه ، فالحكم لمن استخلفه ، فتعظيم العبيد لتعظيم سيدهم لا لنفوسهم ، فهذا سر الإبدار ، فنصب الله صورة البدر مع الشمس مثلاً للخلافة الإلهية ، وأن الحق يرى نفسه في ذات من استخلفه على كمال الخلقة ، فإنه لايظهر له إلا في صورته وعلى قدره . (ف ح ٢/٥٥٦) .

احتجاب الحق بظهور الإنسان الكامل الخليفة :

الإنسان الكامل الظاهر بالصورة الإلهية ، لم يعطه الله هذا الكمال إلا ليكون بدلاً من الحق ، ولهذا سماه خليفة ، ومابعده من أمثاله خلفاء له ، فالأول وحده هو خليفة الحق ، وما ظهر عنه من أمثاله في عالم الأجسام فهم خلفاء هذا الخليفة ، وبدل منه في كل أمر يصح

أن يكون له ، فالإنسان الكامل هو ظل الله في خلقه من خلقه ، فعن ذلك هو خليفة ، ولذلك فالخلفاء خلفاء عن مستخلف واحد . (ف ح ٣/ ٢٨٠ - ٢٩٧) .

فالإنسان الكامل له الشرف على جميع من في السماء والأرض ، فإنه العين المقصودة للحق من الموجودات ، لأنه الذي اتخذه الله مجلى ، لأنه ما كمل إلا بصورة الحق ، كما أن المرآة وإن كانت تامة الخلق ، فلا تكمل إلا بتجلي صورة الناظر ، فتلك مرتبتها ، والمرتبة هي الغاية ، ولما شاء سبحانه أن يعطي كماله حقه ، ولم يزل كذلك ، وخلق العالم للتسبيح بحمده سبحانه ، لا لأمر آخر ، والتسبيح لله ، ولا يكون المسبح في حالة الشهود ، لأنه فناء عن الشهود ، والعالم لايفتر عن التسبيح طرفة عين ، لأن تسبيحه ذاتي كالنفس للمتنفس ، فدل أن العالم لايزال محجوباً ، وطلبُهم بذلك التسبيح المشاهدة ، فخلق سبحانه الإنسان الكامل على صورته ، وعرف الملائكة بمرتبته ، وأخبرهم بأنه الخليفة في العالم ، وأن مسكنه الأرض ، وجعلها له داراً لأنه منها خلقه ، وشغل الملأ الأعلى به سماء وأرضاً ، فسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، أي من أجله ، واحتجب الحق ، إذ لا حكم للنائب بظهور من استخلفه ، فاحتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار ، وعلم آدم الأسماء كلها وأمره بتعليم الملأ الأعلى ، وأمر من في السموات والأرض بالنظر فيما يستحقه هذا النائب ، فسخر له جميع من في السموات والأرض ، حتى المقول عليه الإنسان من حيث تماميته لا من حيث كماليته ، فهذا النوع المشارك له في الاسم إذا لم يكمل هو من جملة المسخرين لمن كمل ، وألحق في كماله بالغنى عن العالمين ، وهو وحده أعني الإنسان الكامل يعبد ربه الغني عنه ، فكماله أن لايستغني عنه ، وما ثَمَّ من يعبده على الشهود من غير تسبيح إلا الكامل ، فإن التجلي له دائم ، فحكم الشهود له لازم ، فهو أكمل الموجودات معرفة بالله وأدومهم شهوداً ، وله إلى الحق نظران ، ولهذا جعل له عينين ، فينظر بالعين الواحدة إليه من كونه غنياً عن العالمين ، فلا يراه في شيء ولا في نفسه ، وينظر إليه بالعين الأخرى من اسمه الرحمن ، بكونه يطلب العالم ، فيراه ساري الوجود في كل شيء ، فيفتقر بهذه النظرة من هذه العين إلى كل شيء ، من حيث ما هي الأشياء أسماء الحق ، لا من حيث أعيانها ، فلا أفقر من الإنسان الكامل إلى العالم ، لأنه يشهده مسخراً له ، فعلم أنه لولا ما هو عليه من الحاجة إلى ما سخروا فيه من أجله ما سخروا ، فيعرف نفسه أنه أحوج إلى العالم من العالم إليه . (ف ح ٣/١/١٤٥) .

آدم الإنسان الكامل خليفة الله في أرضه :

لما خلق الله الإنسان من جملة خلقه ، خلقه إماماً ، وأعطاه الأسماء الإلهية ، وأسجد له الملائكة ، وجعل له تعليم الملائكة ما جهلوه ، وكمل به وفيه وجود العالم ، وحصَّلَ الصورتين ، ففاز بالسورتين ، أعني المنزلتين ، منزلة العزة بالسجود له ، ومنزلة الذلة بعلمه بنفسه ، فلم يزل في شهود خالقه ، فلم تقم به عزة ، بل بقي على أصله من الذلة والافتقار ، ولما حمل الأمانة عَرْضاً ، وجرى ماجرى ، قال هو وزوجه إذ كانت جزءاً منه ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ بما حملاه من الأمانة . (ف ح ٤/ ٢٣٠ ، ٢٣١) .

ورد أن شجرة طوبى غرسها الله بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، فوحد اليد هنا وجمعها بقوله : ﴿ مما عملت أيدينا ﴾ وما ثناها إلا في خلق آدم عليه السلام وهو الإنسان الكامل ، ولاشك أن التثنية برزخ بين الجمع والإفراد ، بل هي أول الجمع ، والتثنية تقابل الطرفين بذاتها ، فلها درجة الكمال ، لأن المفرد لا يصل إلى الجمع إلا بها ، والجمع لا ينظر إلى المفرد إلا بها ، فبالإنسان الكامل ظهر كمال الصورة ، فهو قلب لجسم العالم الذي هو عبارة عن كل ما سوى الله ، وهو البيت المعمور بالحق لما وسعه ، يقول تعالى في الحديث المروي : « ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن » فكانت مرتبة الإنسان الكامل - من حيث هو قلب - بين الله والعالم . (ف ح ٢٩٥/٣) .

وعلَّم آدم الأسماء كلها :

لم يخلق الله تعالى الإنسان عبثاً ، بل خلقه ليكون وحده على صورته ، فكل من في العالم جاهل بالكل عالم بالبعض ، إلا الإنسان الكامل وحده ، فإن الله علمه الأسماء كلها ، وآتاه جوامع الكلم ، فكملت صورته ، فجمع بين صورة الحق وصورة العالم ، فكان برزخاً بين الحق والعالم ، مرآة منصوبة ، يرى الحق صورته في مرآة الإنسان ، ويرى الخلق أيضاً صورته فيه ، فمن حصل هذه المرتبة حصل رتبة الكمال الذي لا أكمل منه في الإمكان ، **ومعنى رؤية صورة الحق فيه** ، إطلاق جميع الإسماء الإلهية عليه ، كما جاء في الخبر : فبهم تنصرون ، والله الناصر ، وبهم ترزقون ، والله الرازق ، وبهم ترحمون ، والله

الراحم ، وقد ورد في القرآن فيمن علمنا كماله ﷺ واعتقدنا ذلك فيه أنه ﴿ بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ ، ﴿ وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ . (ف ح ٣٩٨/٣) .

فأعطى الحق رسول الله ﷺ جوامع الكلم وهو فصل الخطاب ، وما كمل آدم إلا بالأسماء ، وكمال محمد ﷺ بجوامع الكلم ، والأسماء من الكلم . (ف ح ٤٠٩/٣) .

سيدنا محمد ﷺ هو الإنسان الكامل الذي لا أكمل منه :

اعلم أن مرتبة الإنسان الكامل من العالم مرتبة النفس الناطقة من الإنسان ، فهو الكامل الذي لا أكمل منه ، وهو محمد ﷺ فهو الإنسان الكامل الذي ساد العالم في الكمال : سيد الناس يوم القيامة ، ومرتبة الكمل من الأناسي النازلين عن درجة هذا الكمال ـ الذي هو الغاية من العالم ـ منزلة القوى الروحانية من الإنسان ، وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ومنزلة من نزل في الكمال عن درجة هؤلاء من العالم منزلة القوى الحسية من الإنسان ، وهم الورثة رضي الله عنهم ، ومابقي ممن هو على صورة الإنسان في الشكل هو من جملة الحيوان ، فهم بمنزلة الروح الحيواني في الإنسان .

واعلم أن العالم اليوم بفقد جميعة محمد ﷺ في ظهوره ، روحاً وجسماً وصورة ومعنى ، نائمٌ لا ميت ، وأن روحه ـ الذي هو محمد ﷺ ـ هو من العالم في صورة المحل الذي هو فيه روح الإنسان عند النوم إلى يوم البعث ، الذي هو مثل يقظة النائم هنا ، وإنما قلنا في محمد ﷺ على التعيين أنه الروح ، الذي هو النفس الناطقة في العالم ، لما أعطاه الكشف ، وقوله ﷺ إنه سيد الناس ، والعالم من الناس ، فإنه الإنسان الكبير في الجرم ، والمقدَّم في التسوية والتعديل ، ليظهر عنه صورة نشأة محمد ﷺ ، فقبْل ظهور نشأته ﷺ كان العالم في حال التسوية والتعديل كالجنين في بطن أمه ، وحركته بالروح الحيواني منه الذي صحت له به الحياة ، فإذا كان في القيامة حيي العالم كله بظهور نشأته مكملة ﷺ موفور القوى، فليس العالم إنساناً كبيراً إلا بوجود الإنسان الكامل ، الذي هو نفسه الناطقة ، كما أن نشأة الإنسان لاتكون إنساناً إلا بنفسها الناطقة ، ولا تكون كاملة هذه النفس الناطقة من الإنسان إلا بالصورة الإلهية المنصوص عليها من الرسول ﷺ ، فكذلك نفس العالم الذي هو محمد ﷺ ، حاز درجة الكمال بتمام الصورة الإلهية في البقاء والتنوع في الصور ، وبقاء العالم

به ، فقد بان لك حال العالم قبل ظهوره ﷺ أنه كان بمنزلة الجسد المسوى ، وحال العالم بعد موته بمنزلة النائم ، وحال العالم ببعثه يوم القيامة بمنزلة الانتباه واليقظة بعد النوم .
(ف ح ١٨٦/٣ ، ٣٣١ ، ١٨٦) .

لقد اختص محمد ﷺ بالكمال الأتم ، لأنه جمع استعداد الأبوين (آدم وحواء) وقد تقرر أنه أعلم الخلق بالله ، والعلم بالله لايحصل إلا من التجلي والشهود ، وعينه ﷺ أكمل الأعين ، لأنه أكمل العلماء بالله ، فانظره تعالى بعينه صلى الله عليه وسلم . وكان القرآن خلقه ﷺ ، فمن أراد أن يرى رسول الله ﷺ ممن لم يدركه من أمته ، فلينظر إلىٰ القرآن ، فإذا نظر فيه فلا فرق بين النظر إليه وبين النظر إلىٰ رسول الله ﷺ ، فكأن القرآن انتشأ صورة حسية يقال لها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، والقرآن كلام الله وهو صفته ، فكان محمد صفة الحق تعالى بجملته ، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله ، لأنه لا ينطق عن الهوى ، فهو لسان حق ، فيكون محمد ﷺ ما فقد من الدار الدنيا ، لأنه صورة القرآن العظيم .
(ف ح ٦٧٩/١ ، ٦٩٦ - ح ٤ / ٦٠) .

الخيال أحق الموجودات باسم الإنسان الكامل:

إن خيال الكون أوسع حضرة	من العقل والإحساس بالبذل والفضل
له حضرة الأشكال في الشكل فاعتبر	تراه يرد الكل في قبضة الشكل
فإن قلت كلٌّ فهو جزء معيَّن	وإن قلت جزء قام للكل بالكل
فما ثَمَّ مِثْلٌ غيره متحقق	بموجده فهو الممثل للمثل
فعلمي به أحلى إذا ما طعمته	وأشهى إلى أذواقنا من جني النحل

للخيال الإيجاد على الإطلاق ماعدا نفسه ، كما أن الحق له الإيجاد على الإطلاق ما عدا نفسه تعالى ، فالخيال موجد لله عز وجل في حضرة الوجود الخيالي ، والحق موجد للخيال في حضرة الانفعال الممثّل ، وإذا ثبت إلحاق الخيال في قوة الإيجاد بالحق ماعدا نفسه ، فهو على الحقيقة المعبر عنه بالإنسان الكامل ، فإنه ما ثَمَّ على الصورة الحقّية مثله ، فإنه يوجد في نفسه كل معلوم ، والحق نسبة الموجودات إليه مثل هذه النسبة ، فمع كون الخيال من

الموجودات الحادثة، إلا أن له هذا الاختصاص الإلهي الذي أعطته حقيقته، فما قبل شيء من المحدثات صورة الحق سوى الخيال، فإذا تحققت ما قلناه، علمت أنه في غاية الوصلة .

(ف ح ٣/ ٢٩٠)

إن التحول في الصور نعت المهيمن بالخبر
وبذاك أنزل وحيه فيما تلاه من السور
ولقد رأيت مثاله بمطول وبمختصر

أردت بالمطول العالم كله، وبالمختصر الإنسان الكامل.

(ف ح ٣/ ٣٣١)

إن الخلافة لا يكون كمالها ... إلا هنا لا في الذي هو اتي
فيزول في الجنات نصف وجودها ... لإزالة الأحكام في الدركات
لما رأيت عموم رحمة ذاته ... في النشأة الأخرى ولم أر ياتي
أمر مزيل حكمها من خلقه ... فعلمت منه خلافتي بالذات
فأنا المبرز في كمال خلافتي ... عنه ويعلم ذاك كل مُوات

(ف ح ٤/ ١٤٦)

الحجر من شيم الحدوث فلا تقل ... إني لأجل خلافتي لمسرَّح
هيهات أنت مقيد بخلافة ... أين السراح وباب كونك يُفتح
والقلب خلف مغالق مجبولة ... ضاعت مفاتحها وليست تُفتح
لا تفرحن بشرح صدرك إنه ... شرح لتعلم أن قيدك أرجح

(ف ح ٣/ ١٥١)

الفهرس

التنضيد الضوئي
مطبعة الكاتب العربي
هاتف ٢١٩٧٣٨ - ٢٣٨٨٦٧

الطباعة مطبعة نضر
هاتف ٢٢٢٣٦٣

القطب الغوث الفرد

من كلام الشيخ الأكبر

محي الدين ابن العربي

جمع وتأليف

محمود محمود الغراب

في كل عصـــر واحـــد يســـمـــو بــه[1]

وأنــا لبـــاقي العـــصـــر ذاك الواحـــد[2]

(ف ح ٣/ ٤١)

(١) هذا الشطر يشير إلى القطب الغوث الفرد.
(٢) الشطر الثاني يشير إلى تحصيل الشيخ لرتبة ختم الولاية المحمدية الخاصة .

القطب الغوث الفرد
صاحب الوقت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين

معنى القطب :

كل شيء يدور عليه أمر ما من الأمور ، فذلك الشيء قطب ذلك الأمر ، وما من شيء إلا وهو مركب من روح وصورة ، فلابد أن يكون لكل قطب روح وصورة ، فروحه تدور عليه أرواح ذلك الأمر الذي هو قطبه ، وصورة ذلك القطب تدور عليه صورة ذلك الأمر الذي هو قطبه ، ومن جملة أصناف العالم الأناسي ، وهم المقصودون من وجود العالم بالقصد الثاني لا بالقصد الأول ، وأما القصد الأول فالقصد بوجود العالم عبادة الله ، أعني عبادة العرفان الحادث لكمال الوجود ، غير أنه في كل صنف من أصناف العالم تام غير كامل ، وما كمل إلا بهذه النشأة الإنسانية الكاملة ، وما عدا الكاملة فهو الإنسان الحيوان المسمى بالحد حيواناً ناطقاً ، والأقطاب من الكمل ، فإن الله جعل العالم الجسمي والجسماني في منزلين ، منـزل يسمى الدنيا ومنزل يسمى الآخرة ، وجعل سكانهما الإنس والجان ، والمعتبر فيهما الإنس ، والمعتبر من الإنس الكمل لا غير ، وهم الجامعون للأحوال والمقامات بالأصالة أو بالنيابـة ، وقـد يتوسعون في هذا الإطلاق ، فيسمون قطباً كل من دار عليه مقام ما من المقامات ، وانفرد به في زمانه على أبناء جنسه ، وقد يسمى رجل البلد قطب ذلك البلد ، وشيخ الجماعة قطب تلك الجماعة ، فلابد في كل قرية من ولي لله تعالى ، به يحفظ الله تلك القـرية سواء كانت تلك القرية كافرة أو مؤمنة ، فذلك الولي قطبها ، وكذلك أصحاب المقامات ، فلابد للزهاد من قطب يكون المدار عليه في الزهد في أهل زمانه ، وكذلك في

التوكل والمحبة والمعرفة وسائر المقامات ، والأحوال ، لابد في كل صنف صنف من أربابها من قطب يدور عليه ذلك المقام ، فالقطب هو الشخص الذي تدور عليه رحى السياسة الناموسية المبثوثة في مصالح العالم ، المؤيدة بالمعجزات والآيات . (ف ح ٤/٧٥ - ح ٦/٢ - ح ٤/٧٦ - ح ٨٦/٣) .

القطب الواحد في العالم هو روح محمد ﷺ :

القطب الواحد هو روح محمد ﷺ ، وهو الممد لجميع الأنبياء والرسل سلام الله عليهم أجمعين والأقطاب ، من حين النشء الإنساني إلى يوم القيامة ، قيل له ﷺ : « متى كنت نبياً؟ فقال ﷺ : وآدم بين الماء والطين » وكان اسمه مداوي الكلوم ، فإنه بجراحات الهوى خبير ، وبجراحات الرأي والدنيا والشيطان والنفس بكل لسان نبوي أو رسالي أو لسان الولاية أيضاً هو جَدُّ خبير ، وكان له نظر إلى موضع ولادة جسمه بمكة وإلى الشام ، ثم صرف الآن نظره إلى أرض كثيرة الحر واليبس ، لا يصل إليها أحد من بني آدم بجسده ، إلّا أنه قد رآها بعض الناس من مكة في مكانه من غير نقلة ، زويت له الأرض فرآها ، وقد أخذنا نحن عنه (أي الروح المحمدي) علوماً جمة بمآخذ مختلفة ، ولهذا الروح المحمدي مظاهر في العالم ، أكمل مظهره في قطب الزمان وفي الأفراد ، وفي ختم الولاية المحمدي وختم الولاية العامة الذي هو عيسى عليه السلام . (ف ح ١/١٥١) .

الرسل الذين هم على قيد الحياة الآن :

اعلم أن لله في كل نوع من المخلوقات خصائص ، وهذا النوع الإنساني هو من جملة الأنواع ، ولله فيه خصائص وصفوة ، وأعلى الخواص فيه من العباد الرسل عليهم السلام ، ولهم مقام النبوة والولاية والإيمان ، فهم أركان بيت هذا النوع ، والرسول أفضلهم مقاماً وأعلاهم حالاً ، أي المقام الذي يرسل منه أعلى منزلة عند الله من سائر المقامات ، وهم الأقطاب والأئمة والأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم ، كما يحفظ البيت بأركانه ، فلو زال ركن منها زال كون البيت بيتاً ، ألا إن البيت هو الدين ، ألا إن أركانه هي الرسالة والنبوة والولاية والإيمان ، ألا إن الرسالة هي الركن الجامع للبيت وأركانه ، ألا إنها هي المقصودة من هذا النوع ، فلا يخلو هذا النوع أن يكون فيه رسول من رسل الله ، كما لا يزال الشرع الذي هو

دين الله فيه ، ألا إن ذلك الرسول هو القطب المشار إليه ، الذي ينظر الحق إليه ، فيبقي به هذا النوع في هذه الدار ولو كفر الجميع ، ألا إن الإنسان لا يصح عليه هذا الاسم إلا أن يكون ذا جسم طبيعي وروح ، ويكون موجوداً في هذه الدار الدنيا بجسده وحقيقته ، فلابد أن يكون الرسول الذي يحفظ الله به هذا النوع الإنساني موجوداً في هذا النوع في هذه الدار ، بجسده وروحه يتغذى ، وهو مجلى الحق من آدم إلى يوم القيامة ، ولما كان الأمر على ماذكرناه ، ومات رسول الله ﷺ بعد ماقرر الدين الذي لا يُنْسَخ ، والشرع الذي لا يُبَدَّل ، ودخلت الرسل كلهم في هذه الشريعة يقومون بها ، والأرض لا تخلو من رسول حي بجسمه ، فإنه قطب العالم الإنساني ، ولو كانوا ألف رسول لابد أن يكون الواحد من هؤلاء هو الإمام المقصود ، فأبقى الله تعالى بعد رسول الله ﷺ من الرسل الأحياء بأجسادهم في هذه الدار الدنيا ثلاثة ، هم : إدريس عليه السلام ، بقي حياً بجسده وأسكنه الله السماء الرابعة ، والسموات السبع هن من عالم الدنيا ، وتبقى ببقائها وتفنى صورتها بفنائها ، فهي جزء من الدار الدنيا ، وأبقى في الأرض أيضاً إلياس وعيسى (وذلك لأنه سيهبط إلى الأرض في آخر الزمان) وكلاهما من المرسلين ، وهما قائمان بالدين الحنيفي الذي جاء به محمد ﷺ فهؤلاء ثلاثة من الرسل المجمع عليهم أنهم رسل ، وأما الخضر وهو الرابع ، فهو من المختلف فيه عند غيرنا لا عندنا ، فهؤلاء باقون بأجسامهم في الدار الدنيا ، فكلهم الأوتاد ، واثنان منهم الإمامان ، وواحد منهم القطب الذي هو موضع نظر الحق من العالم ، فما زال المرسلون ولا يزالون في هذه الدار إلى يوم القيامة ، وإن لم يبعثوا بشرع ناسخ ، ولا هم على غير شرع محمد ﷺ ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، والواحد من هؤلاء الأربعة الذين هم عيسى وإلياس وإدريس والخضر هو القطب ، وهو أحد أركان بيت الدين ، وهو ركن الحجر الأسود ، واثنان منهم هما الإمامان ، وأربعتهم هم الأوتاد ، فبالواحد يحفظ الله الإيمان ، وبالثاني يحفظ الله الولاية ، وبالثالث يحفظ الله النبوة ، وبالرابع يحفظ الله الرسالة ، وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي ، فالقطب من هؤلاء لا يموت أبداً ، أي لا يُصْعَق ، وهذه المعرفة التي أبرزنا عينها للناظرين لا يعرفها من أهل طريقنا إلا الأفراد الأمناء ، ولكل واحد من هؤلاء الأربعة ـ من هذه الأمة في كل زمان ـ شخص على قلوبهم ، مع وجودهم هم نوابهم ، فأكثر الأولياء من عامة أصحابنا ، لا يعرفون القطب والإمامين والوتد إلا النواب ، لا هؤلاء المرسلون الذين ذكرناهم ، ولهذا يتطاول كل واحد من الأمة

لنيل هذه المقامات ، فإذا حصلوا أو خصوا بها عرفوا عند ذلك أنهم نواب لذلك القطب ، ونائب الإمام يعرف أن الإمام غيره ، وأنه نائب عنه ، وكذلك الوتد ، فمن كرامة رسول الله ﷺ محمد أن جعل من أمته وأتباعه رسلاً وإن لم يرسلوا ، فهم من أهل المقام الذي منه يرسلون ، وقد كانوا أرسلوا ، فاعلم ذلك ، ولهذا صلى رسول الله ﷺ ليلة إسرائه بالأنبياء عليهم السلام في السموات ، لتصح له الإمامة على الجميع حساً بجسمانيته وجسمه ، فلما انتقل ﷺ بقي الأمر محفوظاً بهؤلاء الرسل ، فثبت الدين قائماً بحمد الله ، ما انهدم منه ركن ، إذ كان له حافظ يحفظه وإن ظهر الفساد في العالم ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذه نكتة فاعرف قدرها ، فإنك لست تراها في كلام أحد منقول عنه أسرار هذه الطريقة غير كلامنا ، ولولا ما ألقي عندي في إظهارها ما أظهرتها ، لسر يعلمه الله ما أعلمنا به ، ولا يعرف ما ذكرناه إلا نوابهم خاصة لا غيرهم من الأولياء ، فاحمدوا الله ياإخواننا حيث جعلكم الله ممن قرع سمعه أسرارُ الله المخبوءة في خلقه ، التي اختص الله بها من شاء من عباده ، فكونوا لها قابلين مؤمنين بها ، ولا تحرموا التصديق بها ، فتحرموا خيرها . (ف ح ٢/٥) .

إدريس عليه السلام هو القطب الذي على قيد الحياة :

اعلم أن الاسم النور توجه على إيجاد السماء الرابعة ، وهي قلب العالم وقلب السموات ، فأظهر عينها يوم الأحد ، وأسكن فيها قطب الأرواح الإنسانية ، وهو إدريس عليه السلام ، وسمى الله هذه السماء مكاناً علياً لكونها قلباً ، فإن الذي فوقها أعلى منها ، فأراد علو مكانة المكان ، فلهذا المكان من المكانة رتبة العلو ، وأسكنها إدريس عليه السلام ، وهو القطب الذي لم يمت إلى الآن ، والأقطاب فينا نوابه . (ف ح ٢/٤٤٥ ، ٤٥٥) .

الأقطاب المحمديون والأقطاب الورثة لباقي الأنبياء :

إعلم أن الأقطاب المحمديين على نوعين ، أقطاب بعد بعثته ﷺ وأقطاب قبل بعثته ، فالأقطاب الذين كانوا قبل بعثته هم الرسل ، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً ، وأما الأقطاب من أمته الذين كانوا بعد بعثته إلى يوم القيامة ، فهم اثنا عشر قطباً ، والختمان

خارجان عن هؤلاء الأقطاب فهم من المفردين ، وهؤلاء الاثنا عشر قطباً ما هم الذين لا يكون في كل عصر منهم إلا واحد . (ف ح ٤/٧٥) .

والأقطاب المحمديون هم الذين ورثوا محمداً ﷺ فيما اختص به من الشرائع والأحوال ، مما لم يكن في شرع تقدمه ولا في رسول تقدمه ، فإن كان في شرع تقدم شرعه ـ وهو من شرعه ـ أو في رسول قبله ـ وهو فيه ﷺ ـ فذلك الرجل وارث ذلك الرسول المخصوص ، ولكن من محمد ﷺ فلا ينسب إلا إلى ذلك الرسول وإن كان في هذه الأمة ، فيقال فيه موسوي إن كان من موسى ، أو عيسوي أو إبراهيمي ، أو ما كان من رسول أو نبي ، ولا ينسب إلى محمد ﷺ إلا من كان بمثابة ما قلناه ، مما اختص به محمد ﷺ فإنه لما كان شرع محمد ﷺ تضمن جميع الشرائع المتقدمة ، وأنه ما بقي لها حكم في هذه الدنيا إلا ما قررته الشريعة المحمدية ، فبتقريرها ثبتت ، فتعبدنا بها نفوسنا من حيث أن محمداً ﷺ قررها ، لا من حيث أن النبي المخصوص بها في وقته قررها ، فلهذا أوتي رسول الله ﷺ جوامع الكلم ، فإذا عمل المحمدي ـ وجميع العالَم المكلَّف اليوم من الإنس والجان محمدي ، ليس في العالم اليوم شرع إلهي سوى هذا الشرع المحمدي ـ فلا يخلو هذا العامل من هذه الأمة أن يصادف في عمله ، فيما يفتح له منه في قلبه وطريقه ويتحقق به ، طريقة من طرق نبي من الأنبياء المتقدمين ، مما تتضمنه هذه الشريعة وقررت طريقته وصحبتها نتيجته ، فإذا فتح له في ذلك ، فإنه ينتسب إلى صاحب تلك الشريعة ، فيقال فيه عيسوي أو موسوي أو إبراهيمي ، وذلك لتحقيق ما تميز له من المعارف وظهر له من المقام ، من جملة ما هو تحت حيطة شريعة محمد ﷺ ، فيتميز بتلك النسبة أو بذلك النَسَب من غيره ، ليعرف أنه ما ورث من محمد ﷺ إلا ما لو كان موسى أو غيره من الأنبياء حياً واتبعه ، ما ورث إلا ذلك منه ، ولما تقدمت شرائعهم قبل هذه الشريعة جعلنا هذا العارف وارثاً ، إذ كان الورث للآخر من الأول ، فلو لم يكن لذلك الأول شرع مقرر قبل تقرير محمد ﷺ لساوينا الأنبياء والرسل ، إذ جمعنا زمان شريعة محمد ﷺ كما يساوينا اليوم إلياس والخضر وعيسى إذا نزل ، فإن الوقت يحكم عليه ، إذ لا نبوة تشريع بعد محمد ﷺ ، ولا يقال في أحد من أهل هذه الطريقة إنه محمدي إلا لشخصين ، إما شخص اختص بميراث علم من حكم لم يكن في شرع قبله فيقال فيه محمدي ، وإما شخص جمع المقامات ثم خرج عنها إلى لا مقام ، كأبي يزيد وأمثاله ، فهذا أيضاً يقال فيه محمدي ، وماعدا هذين الشخصين فينسب إلى نبي من

الأنبياء ، فإنه ليس أعم في الاختصاص من عدم التقييد بمقام يتميز به ، فما يتميز المحمدي إلا بأنه لا مقام له يتعين ، فمقامه أن لا مقام ، فإن الأحكام الإلهية تختلف في كل زمان ، فهو في كل نفس وفي كل زمان وفي كل حال ، بصورة ما يقتضيه ذلك النفس أو الزمان أو الحال ، فلا يستمر تقيده ، فيختلف باختلاف الأحكام الإلهية ، فإنه عز وجل كل يوم هو في شأن ، فكذلك المحمدي ـ وهو قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ ولم يقل عقل فيقيده ، والقلب ما سمي قلباً إلا بتقلبه في الأحوال والأمور دائماً مع الأنفاس ، فمن عباد الله من يعلم ما يتقلب فيه في كل نفس ، ومنهم من يغفل عن ذلك ، فالقطب المحمدي أو المفرد هو الذي يتقلب مع الأنفاس علماً ، كما يتقلب معها حالاً كل واحد من خلق الله ، فما زاد هذا الرجل إلا بالعلم بما يتقلب فيه وعليه لا بالتقليب ، فإن التقلب أمر يسري في العالم كله وفيه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وورد في الخبر أن العلماء ورثة الأنبياء ، ولم يقل ورثة نبي خاص ، والمخاطب به علماء هذه الأمة ، وقد ورد أيضاً بهذا اللفظ قوله ﷺ: علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم ، وفي رواية ، كأنبياء بني إسرائيل . (ف ح ٤/٧٦ ـ ح ١/٢٢٢ ـ ح ٤/٧٦ ـ ح ١/٢٢٢) .

القطب النائب واحد من الأفراد :

اعلم أن الله لما خلق الأرواح الملكية المهيمة ، وهم الذين لا علم لهم بغير الله ، لا يعلمون أن الله خلق شيئاً سواهم ، وهم العالون الكروبيون المقربون المعتكفون المفردون ، المأخوذون عن أنفسهم بما أشهدهم الحق من جلاله ـ اختص منهم المسمى بالعقل الأول ، والأفراد منا على مقامهم ، فجلال الله في قلوب الأفراد على مثل ذلك ، فلا يشهدون سوى الحق ، وهم خارجون عن حكم القطب الذي هو الإمام ، فالأفراد من البشر لا يدخلون تحت دائرة القطب ، وما له فيهم تصرف ، وهو واحد منهم ، ولكنه يكون مادته من العقل الأول ، الذي هو أول موجود من عالم التدوين والتسطير ، وهو الموجود الإبداعي ، فالعالَم المهيَّم لا يستفيد من العقل الأول شيئاً ، وليس له على المهيمين سلطان ، بل هم وإياه في مرتبة واحدة ، كالأفراد منا الخارجين عن حكم القطب ، وإن كان القطب واحداً من الأفراد ، لكن خصص العقل بالإفادة كما خصص القطب من بين الأفراد بالتولية ، وهم كُمَّل مثله ، مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية ، لكن لما كان

الأمـر لا يقتضي أن يكـون في الـزمـان إلا واحـد يقـوم بهذا الأمـر ، تعين ذلك الواحد لا بالأولوية ، ولكن بسبق العلم فيه أن يكون الوالي ، وفي الأفراد من يكون أكبر منه في العلم بالله .

(ف ح٢/٦٧٥ ـ ح٢/١٣٧ ـ ح٢/٦٧٥ ـ ح١/٩٣ ـ ح٣/١٣٧).

القطب هو الإمام وخليفة الله في أرضه :

اعلم أن الإنسـان شجرة من الشجرات ، أنبتها الله شجرة لا نجماً لأنه قائم على ساق ، وجعله شجرة من التشاجر الذي فيه ، لكونه مخلوقاً من الأضداد ، والأضداد تطلب الخصام والتشاجر والمنازعة ، وأصل وجوده في العالم حكم الأسماء الإلهية المتقابلة في الحكم لا غير ، هذا مستندها الإلهي ، فلما كان الناس شجرات ، جعل فيهم ولاة يرجعون إليهم إذا اختصموا ، ليحكموا بينهم ليزول حكم التشاجر ، وجعل لهم إماماً في الظاهر واحداً ، يرجع إليه أمر الجميع لإقامة الدين ، وأمر عباده أن لا ينازعوه ، ومن ظهر عليه ونازعه أمرنا الله بقتاله ، لما علم أن منازعته تؤدي إلى فساد في الدين ، الذي أمرنا الله بإقامته ، وأصله قوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ ، فمن هناك ظهر اتخاذ الإمام ، وأن يكون واحداً في الزمان ، ظاهراً بالسيف ، فقد يكون قطب الوقت هو الإمام نفسه ، كأبي بكر وغيره في وقته ، وقد لا يكون قطب الوقت ، فتكون الخلافة لقطب الوقت الذي لا يظهر إلا بصفة العدل ، ويكون هذا الخليفة الظاهر من جملة نواب القطب في الباطن من حيث لا يشعر ، فالجور والعدل يقع في أئمة الظاهر ، ولا يكون القطب إلا عدلاً .

جمع الأنـام على الإمـام الـواحـد عين الـدليل على الإلـه الـواحـد

فالقطب معلوم غير معينٍ ، وهو خليفة الزمان ومحل النظر والتجلي ، ومنه تصدر الآثار على ظاهـر العالم وباطنه ، وبه يرحم الله من يرحم ويعذب من يعذب ، وله صفات إن اجتمعت في خليفة عصر فهو القطب ، وعليه مدار الأمر الإلهي ، وإن لم تجتمع فهو غيره ، ومنه تكون المادة لملك ذلك العصر . (ف ح ٣/١٣٧ ، ٨٠ ـ التدابيرات الإلهية).

لله في خلقه نذير يعلمهم أنه البشير
وهو السراج الذي سناه يبهر ألبابنا المنير
في كل عصر له شخيص تجري بأنفاسه الدهور
عيّنه في الوجود فرداً الواحدُ العالم البصير
ياواحداً مجده تعالى ليس له في الورى نظير
ليس لأنواره ظهور إلا بنا إذ لنا الظهور
فنحن مجلى لكل شيء يظهر في عينه الأمور
(ف ح ٤/٣٢٦) .

ظهور الإمام في وقت وخفاؤه في وقت :

أما سبب ظهور الأئمة في وقت وخفاء بعضهم في وقت ، فهو أن الله ما جبر أحداً على كينونته في مقام الخلافة ، وإنما الله أعطاه الأهلية لذلك المقام ، وعرض عليه الظهور فيه بالسيف حسبما أمره ، فمن قبله ظهر بالسيف ، فكان خليفة ظاهراً وباطناً ما ثَمَّ غيره ، وإن اختار عدم الظهور لمصلحة رآها أخفاه الله ، وأقام عنه نائباً في العالم يسمى خليفة ، يجور ويعدل ، وقد يكون عادلاً على قدر ما يوفقه الله سبحانه ، ويكون حكمه وإن كان جائراً حكم الإمام العادل ، من نازعه قُتل ، ولا يُقتَل إلا الآخر فإنه المنازع ، وأمرنا الله أن لا نخرج يداً من طاعته ، وأخبرنا أنه من عدل منهم فلهم ولنا ، ومن جار منهم فعليهم ولنا ، ولما كانت الإمامة عرضاً ـ كما كانت الأمانة عرضاً ، والإمامة أمانة ـ لذلك ظهر بها بعض الأقطاب ولم يظهر بها بعضهم ، فنظر الحق لهذا القطب بالأهلية ، ولو نظر الله للإمام الظاهر بهذه العين ما جار إمام قط ، فمن شرط الإمام الباطن أن يكون معصوماً ، وليس الظاهر إن كان غيره يكون له مقام العصمة . (ف ح ٣/١٣٧ ، ١٣٨) .

فالأقطاب المصطلح على أن يكون لهم هذا الاسم مطلقاً من غير إضافة ، لا يكون منهم في الزمان إلا واحد ، وهو الغوث أيضاً ، صاحب الزمان وواحده ، وهو من المقربين ، وهو سيد الجماعة في زمانه ، ومنهم من يكون ظاهر الحكم ، ويحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام ، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية بن يزيد وعمر بن عبد العزيز والمتوكل . ومنهم من له الخلافة الباطنة خاصة ولا حكم له في الظاهر ، كأحمد

بن هارون الرشيد السبتي ، وكأبي يزيد البسطامي ، وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر . (ف ح ٢/ ٦، ١٣١ ، ٦٠) .

المرأة تشترك مع الرجل في جميع المراتب حتى في القطبية :

خلق الله الإنسان مختصراً شريفاً ، جمع فيه معاني العالم الكبير ، وجعله نسخة جامعة لما في العالم الكبير ولما في الحضرة الإلهية من الأسماء ، وقال فيه رسول الله ﷺ : إن الله خلق آدم على صورته ؛ ولكون الإنسان الكامل على الصورة الكاملة ، صحت له الخلافة والنيابة عن الله تعالى في العالم ، فبالإنسانية والخلافة صحت له الصورة على الكمال ، وما كل إنسان خليفة ، فإن الإنسان الحيوان ليس بخليفة عندنا ، وليس المخصوص بها أيضاً الذكورية فقط ، فكلامنا في صورة الكامل من الرجال والنساء ، فإن الإنسانية تجمع الذكر والأنثى ، والذكورية والأنوثية إنما هما عرضان ، ليستا من حقائق الإنسانية لمشاركة الحيوان كلها في ذلك ، وقد شهد رسول الله ﷺ بالكمال للنساء ، كما شهد به للرجال : فقال ﷺ : « كمل من الرجال كثيرون وكملت من النساء مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون » ، وسئل بعض الأولياء عن الأبدال : « كم يكونون ؟ فقال : أربعون نفساً ، فقال له السائل : لم لا تقول أربعون رجلاً ؟ فقال : قد يكون فيهم النساء» ، ففضل الرجل بالأكملية لا بالكمالية فإن كملا بالنبوة فقد فضل الرجل بالرسالة والبعثة ، ولم يكن للمرأة درجة البعثة والرسالة ، مع أن المقام الواحد المشترك يقع التفاضل في أصحابه بينهم فيه ، فالنساء والرجال يشتركون في جميع المراتب حتى في القطبية ، ولا يحجبك قول رسول الله ﷺ : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » ، فنحن نتكلم في تولية الله لا في تولية الناس ، والحديث جاء فيمن ولاه الناس ، ولو لم يرد إلا قول النبي ﷺ في هذه المسألة : « إن النساء شقائق الرجال » لكان فيه غنية ، أي كل ما يصح أن يناله الرجل من المقامات والمراتب والصفات ، يمكن أن يكون لمن شاء الله من النساء ، كما كان لمن شاء الله من الرجال . (عقلة المستوفز - ف ح ٣/ ٨٨، ٨٩) .

الاسم الذي ينادى به القطب :

ما من شخص إلا وله نسبة إلى اسم إلهي ، منه يتلقى ما يكون عليه من أسباب الخير ، وهم بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي من الشمول والإحاطة ، فعلى تلك

الموازنة يكون علم هذا الرجل من الأولياء ، فإن الأقطاب والصالحين إذا سمّوا بأسماء معلومة ، لا يُدعَون هناك إلا بالعبودية إلى الاسم الذي يتولاهم ، فلكل رجل اسم إلهي يخصه يُدعى به ، ولو كان اسمه ما كان ، فالقطب **عبد الله** ، قال تعالى : ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه ﴾ يعني محمداً ﷺ ، فسماه عبد الله ، فالأقطاب كلهم عبد الله ، والأئمة في كل زمان عبد الملك وعبد الرب ، فالقطب أبداً مختص بهذا الاسم الجامع عبد الله هناك ، ثم إنه يفضل بعضهم بعضاً ، مع اجتماعهم في هذا الاسم الذي يطلبه المقام ، فيختص بعضهم باسم ما غير هذا الاسم من باقي الأسماء ، فيضاف إليه وينادي به في غير مقام القطبية ، كموسى ﷺ اسمه عبدالشكور، وداود عليه السلام اسمه الخاص به عبد الملك ، ومحمد ﷺ اسمه عبد الجامع ، وما من قطب إلا وله اسم يخصه ، زائد على الاسم العام الذي له الذي هو عبد الله ، سواء كان القطب نبياً في زمان النبوة المقطوع بها ، أو ولياً في زمان شريعة محمد ﷺ ، وكذلك الإمامان لكل واحد منهما اسم يخصه ، ينادىَ به كل إمام في وقته هناك ، فالإمام الأيسر عبد الملك ، والإمام الأيمن عبد ربه ، وهما للقطب الوزيران ، فكان أبو بكر رضي الله عنه عبد الملك ، وكان عمر رضي الله عنه عبد ربه في زمان رسول الله ﷺ ، إلى أن مات رسول الله ﷺ ، فسمي أبو بكر عبد الله ، وسمي عمر عبد الملك ، وسمي الإمام الذي ورث مقام عمر عبد ربه ، ولا يزال الأمر على ذلك إلى يوم القيامة ، وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما أمكن الناس في هذا المقام من غيرهما ممن اتصف به . (ف ح ٢/٧ ، ٥٧١ ، ٦ ، ٥٧١) .

خليفة الله في أرضه لابد أن يكون على علم بمعاني حروف أوائل السور :

إذا أقيم العبد في خروجه عن حضرة الحق إلى الخلق ، بطريقة التحكيم فيهم ـ من حيث لا يشعرون ، وقد يشعرون في حق بعض الأشخاص من هذا النوع ، كالرسل عليهم السلام الذين جعلهم الله خلائف في الأرض ، يبلغون إليهم حكم الله فيهم ، وأخفى ذلك في الورثة ، فهم خلفاء من حيث لا يشعر بهم ـ فلا يتمكن لهذا الخليفة المشعور به وغير المشعور به أن يقوم في الخلافة ، إلا بعد أن يحصل معاني حروف أوائل السور ، سور القرآن المعجمة ، مثل ألف لام ميم وغيرها ، الواردة في أوائل بعض سور القرآن ، فإذا أوقفه الله على حقائقها ومعانيها ، تعينت له الخلافة وكان أهلاً للنيابة ، هذا في علمه بظاهر هذه

الحروف ، وأما علمه بباطنها فعلى تلك المدرجة يرجع إلى الحق فيها ، فيقف على أسرارها ومعانيها من الاسم الباطن ، إلى أن يصل إلى غايتها ، فيحجب الحق ظهوره بطريق الخدمة في نفس الأمر ، فيرى مع هذا القرب الإلهي خَلقاً بلا حق ، كما يرى العامة بعضهم بعضاً ، فيحكم في العالم عند ذلك بما تقتضيه حقيقته ، بما هو نسخة كونية للمناسبة التي بينه وبين العالم ، فلا يعلم العالم هذا القرب الإلهي ، وهذا هو محق المحق الذي يصل إليه رجال الله ، فهو يشهد الله بالله ، ويشهد الكون بنفسه لا بالله ، ويكون في هذا المقام متحققاً من حروف أوائل السور المعجمة بالألف والراء خاصة ، مع علمه بما بقي منها ، غير أن الحكم فيه للألف والراء في هذا المقام ، حيثما وقعا من السور ، وأما حكمه في العالم في هذا المقام فمن باقي هذه الحروف ، من لام وميم وصاد وكاف وهاء وياء وعين وطاء وسين وحاء وقاف ونون ، فبهذه الحروف يظهر في العالم في مقام محق المحق ، وبالألف والراء يظهر في المحق ، وهم الأولياء الذين قال فيهم النبي : « إذا رؤوا ذُكِرَ الله » وذلك لأن عين تجليهم بهذين الحرفين في الصورة الظاهرة عين تجلي الحق ، فمن رآهم رأى الحق ، فهم إذا رؤوا ذكر الله لتحققهم بصفته ، فهم يشاهدون الحق فيه ، إذا تجلى لهم في صورة حق .

ولما كان بين رتبة الألف من هذه الحروف وبين الراء ثلاث مراتب ، لذلك لم تقوَ الراء قوة الألف ، فإن الألف لا تحمل الحركة ولا تقبلها والراء ليست كذلك . واعلم أن محق المحق أتم عند أهل الله في الدنيا ، والمحق أتم في الآخرة ، ومحق المحق لا يفوز به إلا أخص أهل الله ، وهو للعقول المنورة هياكلها ، والمحق يفوز به الخصوص ، وهو للنفوس المنورة ، جعلنا الله ممن مُحِقَ محقه فانفرد به حقه . (ف ح ٢/٥٥٥) .

الخلوة الإلهية بالغوث :

اتخذ الله تعالى الخلوة للانفراد بعبده ، ولهذا لا يكون في الزمان إلا واحد يسمى الغوث والقطب ، وهو الذي ينفرد به الحق ويخلو به دون خلقه ، فإذا فارق هيكله المنور انفرد بشخص آخر ، لا ينفرد بشخصين في زمان واحد ، وهذه الخلوة الإلهية من علم الأسرار التي لا تذاع ولا تفشى ، وما ذكرناها وسميناها إلا لتنبيه قلوب الغافلين عنها ، بل الجاهلين بها ، فإني ما رأيت ذكرها أحد قبلي ، ولا بلغني ، مع علمي بأن خاصة أهل الله

بها عالمون ، فنحن نبهناك على الانفراد الإلهي بالعبد ، وذلك العبد عين الله في كل زمان ، ولا ينظر الحق في زمانه إلا إليه ، وهو الحجاب الأعلى والستر الأزهى والقوام الأبهى . (ف ح ٢/٥٥٥) .

مبايعة القطب :

اعلم أيدك الله تعالى أن المبايعة العامة لا تكون إلا لواحد الزمان خاصة ، وأن واحد الزمان هو الذي يظهر بالصورة الإلهية في الأكوان ، هذا علامته في نفسه ليعلم أنه هو ، ثم له الخيار في إمضاء ذلك الحكم أو عدم إمضائه ، والظهور به عند الغير فذلك له ، فمنهم الظاهر ومنهم من لا يظهر ، ويبقى عبداً إلا إن أمره الحق بالظهور ، فيظهر على قدر ما وقع به الأمر الإلهي ، لا يزيد على ذلك شيئاً ، هذا هو المقام العالي الذي يعتمد عليه في هذا الطريق ، لأن العبد ما خُلِق بالأصالة إلا ليكون لله ، فيكون عبداً دائماً ، ماخُلِق أن يكون رباً ، فإذا خلع الله عليه خلعة السيادة وأمره بالبروز فيها ، برز عبداً في نفسه سيداً عند الناظر إليه ، فتلك زينة ربه وخلعته عليه ، فإن خِلَع القطبية والإمامة ، من الشخص الذي فقد عينه إلى الشخص الذي قام في ذلك المقام ، من الله تعالى ، إذ كان الله هو الذي أقامه ، لا الإمام الذي درج . (ف ح ٣/١٣٦ - ح ٢/٥٩٤) .

إيضاح وبيان لمنصب البيعة وصورتها :

اعلم أن الله سبحانه إذا ولى من ولاه النظر في العالم ، المعبر عنه بالقطب وواحد الزمان والغوث والخليفة ، نصب له في حضرة المثال سريراً أقعده عليه ، ينبيء صورة ذلك المكان عن صورة المكانة ، كما أنبأ صورة الاستواء على العرش عن صورة إحاطته علماً بكل شيء ، هكذا جرت السنة الإلهية في القطب ، إذا ولي المقام أن يقوم في مجلس من مجالس القربة والتمكين ، وينصب له فيه تخت عظيم ، لو نظر إلى بهائه الخلق لطاشت عقولهم ، فإذا نصب له ذلك السرير فيقعد عليه ، ويقف بين يديه الإمامان اللذان قد جعلهما الله له ، خلع الله عليه جميع الأسماء التي يطلبها العالم وتطلبه ، فيظهر بها حُلَلاً وزينة ، متوجاً مسوراً مدملجاً ، لنعمه الزينة علواً وسفلاً ووسطاً وظاهراً وباطناً ، فإذا قعد عليه بالصورة الإلهية ، وأمر الله العالم ببيعته على السمع والطاعة في المنشط والمكره ، فيدخل في بيعته كل مأمور أعلى وأدنى إلا العالين ، وهم المهيمون العابدون بالذات لا بالأمر ، فيمد يده

للمبـايعة الإلهية والاستخلاف ، وتؤمر الأرواح الملكية والجن والبشر الروحاني بمبايعته ، واحداً بعد واحد ، فإنه جَلَّ جناب الحق أن يكون مصدراً لكل وارد ، وأن يرد عليه إلا واحدٌ بعد واحد ، فيدخل في أول من يدخل عليه في ذلك المجلس الملأ الأعلى ، على مراتبهم الأول فالأول ، فيأخذون بيده على السمع والطاعة ، ولا يتقيدون بمنشط ولا مكره ، لأنهم لا يعرفون هاتين الصفتين فيهم ، إذ لا يعرف شيء منهما إلا بذوق ضده ، فهم في منشط لا يعرفون له طعماً ، لأنهم لم يذوقوا المكره ، وما منهم روح يدخل عليه للمبايعة ويبايعه في ذلـك المقام ، إلا ويسأله ـ أعني يسأل الروحُ القطبَ ـ عن مسألة من المسائل من العلم الإلهي ، فيجيبه أمام الحاضرين ليعرفوا منزلته من العلم ، فيعرفون في ذلك الوقت أي اسم إلهي يختص به ، فيقول له : ياهذا أنت القائل كذا ؟ فيقول له : نعم ؛ فيقول له في المسألة وجهاً يتعلق بالعلم بالله ، يكون أعلى من الذي كان عند ذلك الشخص ، فيستفيد منه كل من بايعه ، وحينئذ يخرج عنه ، هذا شأن القطب ، ولا تبايعه إلا الأرواح المطهرة المقربة ، ولا يسـأله من الأرواح المبايعة إلا الملائكة ، ومن الجن والبشر إلا أرواح الأقطاب الذين درجوا خاصة ، فأول مبايع له العقل الأول ثم النفس ، ثم المقدمون من عمار السموات والأرض من الملائكة المسخرة ، ثم الأرواح المدبرة للهياكل التي فارقت أجسامها بالموت ، ثم الجن ثم المولدات ، وذلك أنه كل ما سبح الله من مكان ومتمكن ومحل وحال فيه يبايعه ، إلا العالين من الملائكة وهم المهيمون ، والأفراد من البشر الذين لا يدخلون تحت دائرة القطب ، وهكذا هي حالة كل قطب يبايع في زمانه ، وقد أفردنا لهذه المبايعة كتاباً كبيراً سميناه « مبايعة القطب في حضرة القرب »[1] ذكرنا فيه مسائل كثيرة مما سئل عنها فأجاب ، وهي المسائل التي وقعت في زماننا لقطب وقتنا ، فإنها ما هي مسائل معينة تتكرر من كل قطب ، وإنما يسئل كل قطب فيما يخطر الله في ذلك الحين مما جرى لهذا الذي بايعه من الأرواح فيه كلام . (ف ح ٣/١٣٦ ـ ح ٢/٥٧١ ـ ح ٣/١٣٦ ـ ح ٢/٥٧١ ـ ح ٣/١٣٧) .

مبايعة القطب من الحضرة النباتية :

مبايعة النبات القطب هو أن تبايعه نفسه ، أن لا تخالفه في منشط ولا مكره مما يأمرها

---

(١) هذا الكتاب ذكره الشيخ في كتاب منزل القطب ومقامه وحاله ، وفي كتاب مواقع النجوم ، وهو من الكتب المفقودة .

به من طاعة الله في أحكامه ، فإن الله قد جعل زمام كل نفس بيد صاحبها وأمرها إليه ، فإنه لما كان النبات برزخياً كان مرآة قابلاً لصور ما هو لها برزخ ، وهما الحيوان والمعدن ، إذا بايع بايع لبيعته ما ظهر فيه من صور ما هو برزخ لهما تابعاً له ، فتضمنت بيعة النبات بيعة الحيوان والمعادن ، لأن هذا الإمام يشاهد الصور الظاهرة في مرآة البرازخ ، وهو علم عجيب ، كما يرى الناظر في المرآة في الحس غير صورته ، مما تقبله المرآة من صور غير الناظر من الأشخاص ، فيدرك فيها ما هي تلك الأشخاص عليه في أنفسها ، مع كونها في أعيانها غيباً عنه ، وما رأى لها صورة إلا في هذا الجسم الصقيل ، فإن أعطته تلك الصورة علماً غير النظر إليها ، كان ذلك العطاء بمنزلة ما يعطي المبايع في البيعة من السمع والطاعة لمن بايعه ، وإن لم تعط علماً لم يرجع ذلك إليها ، وإنما هو رجع إلى الناظر ، وأنه ليس بإمام ولا خليفة ولا له بيعة أصلاً ، وبهذا يتميز الإمام في نفسه عن غيره ، ويعلم أنه إمام ، فإن أخذ العلم هذا الناظر من تلك الصورة بحكم التفكر والاعتبار ، فيخيل إليه أنه إمام وقته فليس ذلك ، إلا أن تعطيه الصور العلم من ذاتها كشفاً من غير فكر ولا اعتبار ، وإن اتفق أن يساويه صاحب الفكر في ذلك العلم الكشفي ، فليس بإمام لاختلاف الطريق ، فإن الإمام لا يقتني العلوم من فكره ، بل لو رجع إلى نظره لأخطأ ، فإن نفسه ما اعتادت إلا الأخذ عن الله ، وماأراد الله لعنايته بهذا العبد أن يرزقه الأخذ من طريق فكره ، فيحجبه ذلك عن ربه ، فإنه في كل حال يريد الحق أن يأخذ عنه ما هو فيه من الشؤون ، في كل نَفَس ، فلا فراغ له ولا نظر لغيره ، وللعاقل إذا استبصر ـ دليل قد وقع يدل على صحة ما ذكرناه ـ نهى النبي ﷺ عن إبار النخل ففسد ، لأنه لم يكن عن وحي إلهي ، ونزوله يوم بدر على غير ماء فرجع إلى كلام أصحابه ، فإنه ﷺ ما تعود أن يأخذ العلوم إلا من الله ، لا نظر له إلى نفسه في ذلك ، وهو الشخص الأكمل الذي لا أكمل منه ، فما ظنك بمن هو دونه ، وما بقي للعارفين بالله علاقة بين الفكر وبينهم بطريق الاستفادة ، ولا يسمى الشخص إلهياً إلا أن لا يكون أخذه العلوم إلا عن الله من فتوح المكاشفة بالحق . (ف ح ١٣٨/٣ ، ١٣٩) .

فإذا بايعت القطب نفسهُ ، انصرف حكم شجريتها إلى منازعة من ينازع أمر الله ، فبقي حكم حقيقتها في المخالفين أمر الله ، إذ علم الله أن حقيقة الخلاف لا تزول ، فإنها شجرة لعينها ، فلو زال لزال عينها ، فلهذا عين الله لها مصرفاً خاصاً يكون فيه سعادتها . (ف ح ١٣٨/٣) .

أحوال القطب العامة لا الأحوال الخاصة :

اعلم أن القطب هو الرجل الكامل الذي قد حصل الأربعة الدنانير ، الذي كل دينار منها خمسة وعشرون قيراطاً ، وبها توزن الرجال ، فمنهم ربع رجل ونصف وثمن وسدس ونصف سدس وثلاثة أرباع ورجل كامل ، فالدينار الواحد للمؤمن الكامل ، والدينار الثاني للولي الخاص ، والدينار الثالث للنبوتين ، والدينار الرابع للرسالتين ، أعني الأصلية بحكم الأبوة والوراثة بحكم البنوة ، فمن حصل الثاني كان له الأول ، ومن حصل الثالث كان له الثاني والأول ، ومن حصل الرابع حصل الكل ، والقطب من الرجال الكمل ، وإنما قلنا من الرجال الكمل من أجل الأفراد ، فإنهم مكملون . (ف ح ٢ / ٥٧٤) .

فالقطب وهو عبد الله ، وهو عبد الجامع ، فهو المنعوت بجميع الأسماء تخلقاً وتحققاً ، وهو مرآة الحق ومجلى النعوت المقدسة ، ومجلى المظاهر الإلهية ، وصاحب الوقت ، وعين الزمان ، وسر القدر ، وله علم دهر الدهور ، الغالب عليه الخفاء ، محفوظ في خزائن الغيرة ، ملتحف بأردية الصون ، لا تعتريه شبهة ، ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه ، كثير النكاح راغب فيه ، محب للنساء ، يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع ، ويوفي الروحانية حقها على الحد الإلهي ، يضع الموازين ، ويتصرف على المقدار المعين ، الوقت له ما هو للوقت ، هو لله لا لغيره ، حاله العبودية والافتقار ، يقبح القبيح ويحسن الحسن ، يحب الجمال المقيد في الزينة والأشخاص ، تأتيه الأرواح في أحسن الصور ، يذوب عشقاً ، يغار لله ويغضب لله ، لا تتقيد له المظاهر الإلهية بالتدبير ، بل له الإطلاق فيها ، فتظهر في تدبير المدبر ، روحانيته من البشر المحسوس من خلف حجاب الشهادة والغيب ، لا يرى من الأشياء إلا وجه الحق فيها ، يضع الأسباب ويقيمها ، ويدل عليها ويجري بحكمها ، ينزل إليها حتى تحكم عليه وتؤثر فيه . لا يكون فيه ربانية بوجه من الوجوه ، مصاحب لهذا الحال دائماً ، إن كان صاحب دنيا وثروة تصرف فيها تصرف عبد في مال سيد كريم ، وإن لم يكن له دنيا ، وكان على ما يفتح له ، لم تستشرف له نفس ، بل يقصد بنفسه عند الحاجة إلى بعض ما تحتاج إليه طبيعته ، بيت صديق ممن يعرفه ، يعرض عليه ما يحتاج إليه طبيعته ، كالشفيع لها عنده ، فيتناول لها منه قدر ما تحتاج إليه وينصرف ، لا يجلس عن حاجته إلا من ضرورة ، فإذا لم يجد لجأ إلى الله في حاجة طبيعته ، لأنه مسؤول عنها لكونه

والياً عليها ، ثم ينتظر الإجابة من الله فيما سأله ، فإن شاء أعطاه ما سأل عاجلاً أو آجلاً ، فمرتبته الإلحاح في السؤال والشفاعة في حق طبيعته ، بخلاف أصحاب الأحوال ، فإن الأشياء تتكون عن همتهم وطرحهم الأسباب عن نفوسهم ، فهم ربانيون ، والقطب منزه عن الحال ، ثابت في العلم ، مشهود فيه فيتصرف به ، فإن أطلعه الحق على ما يكون ، أخبر بذلك على جهة الافتقار والمنة لله ، لا على جهة الافتخار ، لا تطوى له أرض ، ولا يمشي في هواء ولا على ماء ، ولا يأكل من غير سبب ، ولا يطرأ عليه شيء مما ذكرناه من خرق العوائد وما تعطيه الأحوال إلا نادراً ، لأمر يراه الحق فيفعله ، لا يكون ذلك مطلوباً للقطب ، يجوع اضطراراً لا اختياراً ، ويصبر عن النكاح كذلك لعدم الطول ، يعلم من تجلي النكاح ما يحرضه على طلبه والتعشق به ، فإنه لا يتحقق له ولا لغيره من العارفين عبوديته أكثر مما يتحقق له في النكاح ، لا في أكل ولا في شرب ولا في لباس لدفع مضرة ، ولا يرغب في النكاح للنسل بل لمجرد الشهوة ، وإحضار التناسل في نفسه لأمر مشروع ، والتناسل في ذلك للأمر الطبيعي لحفظ بقاء النوع في هذه الدار ، فإن نكاح صاحب هذا المقام كنكاح أهل الجنة لمجرد الشهوة ، إذ هو التجلي الأعظم الذي خفي عن الثقلين ، إلا من اختصه الله به من عباده ، وعلى هذا يجري نكاح البهائم لمجرد الشهوة ، لكن غاب عن هذه الحقيقة كثير من العارفين ، فإنه من الأسرار التي لا يقف عليها إلا القليل من أهل العناية ، ولو لم يكن فيه من الشرف التام ، الدال على ما تستحقه العبودية من الضعف ، إلا ما يجد فيه من قهر اللذة المفنية له عن قوته ودعواه ، فهو قهر لذيذ ، إذ القهر مناف للالتذاذ به في حق المقهور ، لأن اللذة في القهر من خصائص القاهر لا من خصائص المقهور ، إلا في هذا الفعل خاصة ، وقد غاب الناس عن هذا الشرف ، وجعلوه شهوة حيوانية ، نزهوا نفوسهم عنها ، مع كونهم سمُّوها بأشرف الأسماء ، وهو قولهم حيوانية ، أي هي من خصائص الحيوان ، وأي شرف أعظم من الحياة !! فما اعتقدوه قبحاً في حقهم ، هو عين المدح عند العارف المكمل . وأما حُبُّ القطب الجمال المقيد المندرج في الجمال المطلق ، فذلك لقربه في المناسبة إلى الجمال ، فلا يحتاج فيه إلى غور بعيد ، وقوة يشق بها حجاب قبح الطبع إلى إدراك الجمال الإلهي المودع في ذلك القبح ، فالجمال المقيد يعطيه بأول وهلة مقصوده ، حتى يتفرغ إلى أمر آخر ، آكد عليه من مقاومة القبح الطبيعي لإدراك الجمال المطلق ، إذ الأنفاس عزيزة في دار التكليف ، ويريد أن لا يكون له نفس إلا وقد

تلقاه بأحسن أدب ، وصرفه بأحسن خلعة وزينة ، وقد غاب عن هذا القدر من المعرفة جماعة من العارفين ، وأنفت نفوسهم من ذلك ، لمشاركة أهل الأغراض من العامة فيه ، وما علموا أن هذا الرجل له مشاهدة الجمال المطلق في الجمال المقيد وفي غيره ، بخلاف العامة .

فمن أحوال القطب تقرير العادات والجري عليها ، ولا يظهر عليه خرق عادة دائماً كما يظهر على صاحب الحال ، ولا يكون خرق العادة مقصوداً له ، بل تظهر منه ولا تظهر عنه ، إذ لا اختيار له في ذلك .

(ف ح٢/٥٧٣ ، ٥٧٤).

مقام القيومية والحفظ :

رجال الله الذين يحفظون نفوسهم من حكم سلطان الغفلة ، الحائلة بينهم وبين ما أمر الله به من المراقبة ، هم قسمان : قسم له الإطلاق في الحفظ ، كإطلاق حكم الشرع في أفعال المكلف ، وقسم له التقييد في الحفظ ظاهراً لا باطناً ، فأما أهل الإطلاق فمنهم من يحافظ على ما عَيَّن الحق له منه أنه وسعه ، وهو القلب ، ومنهم من يحافظ على ملازمة الحجاب ، الذي يعلم أن الحق وراءه ، فيكون له كالحاجب في العالم ، ينفذ أوامره ، وهذه حالة القطب ، فليس له من الله إلا صفة الخطاب لا الشهود ، لأنه صاحب الديوان الإلهي ، فلا يكون إلا من وراء حجاب إلى أن يموت ، فإذا مات لقي الله ، وهو مسؤول عن العالم ، والعالم مسؤول عنه ، ولما لم يكن في وسع البشر أن يتخلق بالقيومية المطلقة ، وغاية من يقوم بها قطب الوقت ، فإن له الأكثر فيها من سواه ، فإنه بسهر قلبه يحفظ ذاته الباطنة ، كما يحفظ بسهر عينه ذاته الظاهرة وإن كان نائماً ، فهو ممن ينام عينه ولا ينام قلبه ، ويحفظ غيره بحفظه ، فإن الحفظ الإلهي ما هو الحفظ العرضي ، فإن الله تعالى ما رأيناه يحفظ على كل عين صورتها ، بل الواقع غير ذلك ، وهو مطلق الحفظ ، فليس الحفظ ما يتخيل من حفظ الصور على أعيانها ، وإنما الحفظ المطلق هو أن ينظر الحافظ في المحفوظ ، فإذا كان من عالم التغيير والاستحالات ، فيحفظ عليه التغيير والاستحالات ، فإن لم يتغير ولا استحال ، فما حفظ عليه ماتستحقه ذاته . (ف ح ٣/٢٢٨ - ح ٢/١٨٢) .

منزل القطب ومقامه ومسكنه وحاله :

القطب الذي هو مركز الدائرة ومحيطها ومرآة الحق ، عليه مدار العالم ، له رقائق ممتدة إلى جميع قلوب الخلائق ، ومنزله حضرة الإيجاد الصرف ، فهو الخليفة ، ومقامه تنفيذ الأمر وتصريف الحكم ، وحاله الحالة العامية ، لا يتقيد بحاله تخصيص ، فإنه الستر العام في الوجود ، وبيده خزائن الجود ، والحق له متجل على الدوام ، وله من البلاد مكة ، ولو سكن حيث ما سكن بجسمه ، فإن محله مكة ليس إلا . (كتاب منزل القطب) .

الذكر للقطب والتحميد للإمامين :

الأقطاب هم الذين ذِكْرُهم « الله » لا يزيدون عليه في نفوسهم ، هذا ذكرهم وفي خلواتهم باللسان ، وأما في العموم فلا إله إلا الله ، فالذكر « أعني لا إله إلا الله » للأصل وهو القطب ، والتحميدان أعني تحميد السراء والضراء ، لما انقسم التحميد بلسان الشرع بين قوله في السراء ، « الحمد لله المنعم المفضل »، وبين قوله في الضراء ، « الحمد لله على كل حال »، وما له في الكون إلا حالة تسر أو حالة تضر ، ولكل حالة تحميد ، فقسمها كذا على الإمامين . (ف ح ٤/٧٥ - ح ٣/٥٢١) .

كل من عرف القطب من الناس لزمته بيعته :

كل من عرف القطب من الناس لزمته مبايعته ، وإذا بايعه لزمته بيعته ، وهي من مبايعة النبات ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ﴾ فإنها بيعة ظاهرة ، ولهذا القطب التحكم في ظاهره بما شاء ، وعلى الآخر التزام طاعته ، وقد ظهر مثل هذا في الشرع الظاهر ، أن المتنازعين لو اتفقا على حَكَمٍ بينهما فيما تنازعا فيه ، فحكم بينهما بحكم ، لزمهما الوقوف عند ذلك الحكم ، وأن لا يخالفا ما حكم به ، فالقطب المنصوب من جهة الحق أولى بالحكم ، فيمن عرف إمامته في الباطن من الناس . (ف ح ٣/١٣٨) .

فالسعيد من عرف إمام وقته فبايعه ، وحكَّمَه في نفسه وأهله وماله ، كما قال ﷺ في حق نفسه : « لا يكمل لعبد الإيمان حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » ولهذا يشترط في البيعة المنشط والمكره ، لأن الإنسان ما ينشط إلا إذا وافق أمر الله هوى

نفسه ، والمكره إذا خالف أمر الله هوى نفسه ، فيقوم به على كره لإنصافه ووفائه بحكم البيعة .

فحق الإمام أحق بالاتباع ، قال الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ وهم الأقطاب والخلفاء والولاة . (ف ح ١٣٨/٣) .

الأئمـــــة :

الأئمـة لا يزيدون في كل زمـان على اثنين ، لا ثالث لهما ، الواحد الإمام الأيسر عبد الملك ، والإمام الأيمن عبد ربه ، وهما للقطب بمنزلة الوزيرين ، وهما اللذان يخلفان القـطب إذا مات ، الـواحـد منهم مقصور على مشاهدة عالم الملكوت ، والآخر مع عالم الملك . (ف ح ٦/٢ ، ٥٧١ ، ٦) .

حال الإمام الأقصى وهو عبد ربه :

حاله البكاء شفقة على العالم لما يراهم عليه من المخالفات ، وينظر إلى توجه الأسماء الإلهية التي تقتضي العقاب والأخذ ، ولا يتجلى له من الأسماء الإلهية ما تقتضيه المخالفات من العفو والتجاوز ، فلهذا يكثر بكاؤه ، فلا يزال داعياً لعباد الله ، رحيماً بهم ، سائلاً الله سبحانه أن يسلك بهم طريق الموافقات ، ولهذا الإمام قوة سلطان على الشياطين الملازمين أهل الخير والصلاح ، ليصرفوهم عن طريقهم ، فإذا وقع نظر الشيطان على هذا الإمام ـ وهو عند بعض الصالحين يحتال كيف يصرفه عن طريقته ـ يذوب كما يذوب الرصاص في النار ، فيناديه الإمام باسمه عسى يسلم ، فيدبر هارباً ، فلا يزال ذلك الصالح محفوظاً من إلقاء هذا الصنف من الشياطين إليه ما يخرجه عن صلاحه ، ما دام هذا الإمام حاضراً ناظراً إليه ، وإن كان ذلك الصالح لا يعرفه ولا يعرف ما جرى ، فيدفع الله عن عباده بهذا الإمام الشرور التي تختص بالصالحين من عباده خاصة ، عناية منه بهم ؛ ومن خاصية هذا الإمام التصديق بكل خبر مُخْبَر به عن الله ، سواء كان ذلك المخبر صادقاً في إخباره أو مفترياً ، فإن هذا الإمام يصدقه ، لكونه ناظراً إلى الاسم الإلهي الذي يتولى هذا المُخْبِرَ في إخباره ، فإن كان صادقاً فإخباره عن كشف محقق ، فيستوي هو والإمام في ذلك ، وإن لم يكن له كشف وأخبر عما وقع عنده ـ ولايدري من أوقعه ـ ويقصد الكذب ، فإن هذا الإمام يصدقه في

إخبـاره ، والمخـبر معـاقب من الله ، محروم بقصـده الكذب ، وهو في نفس الأمر ليس كذلك ، فوبال قصده عاد عليه ، فعُذِّب إن آخذه الله بذلك ، ومن أحوال هذا الإمام أن يسـأل دائماً الانتقال إلى مقام المشاهدة من الأحوال ، ومقام الصلاح من المقامات ، وله اطلاع دائم إلى الجنان ، وإنما خصه الله بهذا الاطلاع إبقاء عليه ، فيقابل ما هو عليه من البكاء والحزن المؤدي إلى القنوط ، بما يراه ويطلعه الله عليه من سرور الجنان ونعيم أهله فيه ، ويعاين اشتياق أهله إليه وانتظارهم لقدومه ، فيكون ذلك سبباً لا عتداله ، ومقام هذا الإمـام الإحسـان الأول ، وهو قول جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ « ماالإحسان ؟ وجوابه ﷺ الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » ، والذي بعده ليس لهذا الإمام ، وبيد هذا الإمام مصالح العالم وما ينتفعون به، وهو يربي الأفراد ويغذيهم بالمعارف الإلهية ، ويقسم المعارف على أهلها بميزان محقق ، على قدر ما يرى فيه صلاح ذلك العارف ، لتحيا بتلك المعرفة نفسه ، وله السيادة على الثقلين ، والحكم والتصرف فيهما بما تعطيه المصلحة لهم ، ومن خصائص هذا الإمام الإقامة على كل مايحصل له من الأحوال والمقامات ، وليس ذلك لكل أحد ، فما يتصف بحال فينتقل عنه ولا بمقام ، وغير هذا الإمام إذا انتقل إلى مقام أو حال ، حكم عليه سلطان ذلـك المقـام والحال وغيبه عما انتقل عنه ، وهذا الإمام ليس كذلك ، فإن المقام الذي انتقل عنه محفوظ عليه لايغيب عنه ، قوة إلهية خصه الله بها ، ولروحه من الأجنحة مائتا جناح وأربعة أجنحة ، أي جناح نشر منها طار به حيث شاء ، وله قدم في المرتبة الثالثة والأولى ، ويدعى في بعض الأحايين بالبر الرحيم ، فإن المراتب أربع لا زائد عليها ، وكل مرتبة تقتضي أموراً لا نهاية لها من علوم وأسرار وأحوال ، فالمرتبة الأولى إيمان ، والثانية ولاية ، والثالثة نبوة ، والرابعة رسالة ، والرسالة والنبوة وإن انقطعت في هذه الأمـة بحكم التشريع ، فما انقطع الميراث منهما ، فمنهم من يرث نبوة ، ومنهم من يرث رسالة ونبوة معاً . (فـ ح ٢/٥٧٢) .

حال الإمام الأدنى وهو عبد الملك :

إن لهذا الإمام من جهة روحانيته ، من الأجنحة تسعين جناحاً ، أي جناح نشر منها طار به حيث شاء ، وكانت بدايته ونهايته في المرتبة الثانية ، ليس له قَدَمٌ في باقي المراتب

الثلاثة ، فلم يكن له منازل ولا درجات ولا مقامات يقطعها ، ولهذا الإمام الشدة والقهر ، وله التصرف بجميع الأسماء الإلهية التي تستدعي الكون ، مثل الخالق والرازق والملك والباريء على بعض وجوهه وغير ذلك ، وليس له تصرف بأسماء التنزيه ، بخلاف الإمام الذي تقدم ذكره ، يُلْجَأ إليه في الشدائد والنوازل الكبار فيفرجها الله على يده ، فإن الله قد جعل له عليها سلطاناً ، وله الكرم وليس له الإيثار ، لنزاهته عن الحاجة إلى ما يقع به الإيثار ، وله الإنعام على الخلق من حيث لايشعرون ، وولاة أمور الخلق راجعون إلى هذا الإمام ، فيولي ويعزل ، ويدفع الله به الشرور ، وله سلطان قوي على الأرواح النارية من الشياطين المبعودين من رحمة الله ، ويجتمع مع الإمام الأول الأقصى في درجة واحدة من خمس درجات ، وينفرد عنه الإمام الأقصى بأربع درجات . (ف ح ٢/٥٧٢) .

معرفة الشيخ الأكبر لجميع الأقطاب في الأمة المحمدية :

لما جمع الله بيني وبين أنبيائه كلهم ، حتى ما بقي منهم نبي إلا رأيته في مجلس واحد ، لم أر معهم أحداً ممن هو على قدمهم ، ثم بعد ذلك رأيت جميع المؤمنين وفيهم الذين هم على أقدام الأنبياء وغيرهم من الأولياء ، فلما لم يجمعهم مجلس واحد لذلك لم أعرفهم ، ثم عرفتهم بعد ذلك ، ونفعني الله برؤيتهم ، وكنا نقول قبل هذا : إن ثم أولياء على قلوب الأنبياء ، فقيل لنا : لا بل قل هم على أقدام الأنبياء لا تقل على قلوبهم ، فعلمت ما أراد بذلك لما أطلعني الله على ذلك ، ورأيتهم على آثارهم يقْفون ، فرأيت جميع الرسل والأنبياء كلهم مشاهدة عين ، وكلمت منهم هوداً أخا عاد دون الجماعة ، ورأيت المؤمنين كلهم مشاهدة عينٍ أيضاً ، من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة ، أظهرهم الحق لي في صعيد واحد في زمانين مختلفين ، وصاحبت من الرسل وانتفعت به سوى محمد ﷺ جماعة ، منهم : إبراهيم الخليل قرأت عليه القرآن ، وعيسى تبت على يديه ، وموسى أعطاني علم الكشف والإيضاح ، وعلم تقليب الليل والنهار ، فلما حصل عندي زال الليل وبقي النهار في اليوم كله ، فلم تغرب لي شمس ولا طلعت ، فكان لي هذا الكشف إعلاماً من الله أنه لا حظ لي في الشقاء في الآخرة ، وهود عليه السلام سألته عن مسألة فعرفني بها ، فوقعت في الوجود كما عرفني بها ، هذا إلى زمان هؤلاء ، وعاشرت من الرسل محمداً ﷺ وإبراهيم وموسى وعيسى وهوداً وداود ، ومابقي فرؤية لاصحبة . (ف ح ٣/٢٠٨ ـ ح ٤/٧٧) .

السبب الذي منع الشيخ من ذكر الأقطاب من زمانه إلى يوم القيامة :

اعلم وفقنا الله وإياك أن الكتب الموضوعة لا تبرح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وفي كل زمان لابد من وقوف أهل ذلك الزمان عليها ، ولابد في كل زمان من وجود قطب ، عليه يكون مدار ذلك الزمان ، فإذا سميناه وعيناه قد يكون أهل زمانه يعرفونه بالاسم والعين ولا يعرفون رتبته ، فإن الولاية أخفاها الله في خلقه ، وربما لا يكون عندهم في نفوسهم ذلك القطب بتلك المنزلة التي هو عليها في نفس الأمر ، فإذا سمعوا في كتابي بذكره أدَّاهم إلى الوقوع فيه ، فينزع الله نور الإيمان من قلوبهم كما قال رويم ، وأكون أنا السبب في مقت الله إياهم ، فتركت ذلك شفقة مني على أمة محمد ﷺ وما أنا في قلوب الناس ولا في نفس الأمر ولا عند نفسي بمنزلة الرسول ، يجب الإيمان بي عليهم وبما جئت به ، ولا كلفني الله إظهار مثل هذا فأكون عاصياً بتركه ، ولا هذه المسألة بمنزلة قوله تعالى : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ وبسط الرحمة على الكافة أولى من اختصاصها في حقنا . (ف ح ٤/١٩٤) .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

تم كتابا الإنسان الكامل والقطب الغوث بحمد الله وعونه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أشرف على التصحيح والتدقيق كل من السادة :
محمد ماجد الحناوي ـ عبد الفتاح العش ـ محب الدين المصري .

مدح الشيخ الأكبر للرسول ﷺ

اعلم أنَّ الأب الأول في الروحانيات هو أبو آدم ، وأبو العالم ، وهو حقيقة محمد ﷺ وروحه ، فأصل أرواحنا روح محمد ﷺ ، فهو أول الآباء روحاً ، وآدم أول الآباء جسماً .

كتاب الإسفار / سفر الايتلاء ـ ف ح ٣/ ٥٠ ـ ح ١/ ٥ .

ألم تر أن الله أكرم أحمدا	ونادى به حتى إذا بلغ المدى
تلقاه بالقرآن وحياً منزلاً	فكان له روحاً كريماً مؤيدا
وأعطاه ماأبقى عليه مهابة	فأورثه علماً وحلماً وسؤددا
وأعلى به الدين الحنيفي والهدى	وصيره يوم القيامة سيدا
وهيأ يوم الفصل عند وروده	له فوق أدنى في التقرب مقعدا
وعيّن يوم الزور من كل حضرة	له في كثيب المسك نزلاً ومشهدا
فيا خير خلق الله بل خير مرسل	لقد طبت في الأعراق نشئاً ومحتدا
تحليت للإرسال في كل شرعة	ليظهرن آيات ويقدحن أزندا
ففي قولكم لما دعيت مذمما	وقد كان سمّاك الإله محمدا
فياخير مبعوث إلى خير أمة	لوَ أنك في ضيق لكنتُ لك الفدا
ولما دعوتَ الله غيرة مؤمن	على من تعدّى في الشريعة واعتدى
أتاك عتاب الله فيه ولم تكن	أردتَ به إلاّ التعصب لله هدى
بأنك قد أرسلتَ للخلق رحمة	ومن كان هذا أصله طاب مولدا
مدحتك للأسماع مدح معرِّف	وقمت به في موقف العدل منشدا
وها أنا أتلو في مديحك ألسُناً	تعز على من كان في العلم قد شدا
ولم أغل بل قلت الذي قال ربنا	وجئت به فضلاً مبيناً لأرشدا

مدحتـك بالأسماء أسماءِ ربنا ... ولم ألتفت عقلاً ورأياً مسدّدا[1]
بأنك عبد الله بل أنت كونه ... وأنت مضاف الكاف شرعاً وماعدا[2]
فعينك عين السر والسمع سمعه ... وأنت الكبير الكل للعين إن بدا
وأنت الذي أكني إذا قلت كنية ... وأنت الذي أعني إذا ما تمجدا
لقد خصك الرحمن بالصورة التي ... روينا ولم ينزل لنا ذكرها سدى
ولما اصطفاك الله عبداً مقرباً ... أراك الذي أعطى عليك وأشهدا

(ديوان /١٢٧) .

وله أيضاً في الديوان /٥٢ :

ياصفوة الدين أنت الدين أجمعه ... طابت بذكرك أعراف وأفواه

وله أيضاً في الديوان / ٣٤٤ .

مدحت المصطفى فمدحت نفسي ... ولي قسم وماجاوزت قسمي
فأعمالي ترد علي منه ... ولو أرمي فعيني منه أرمي

---

(١) يشير إلى قوله تعالى في حق رسول الله ﷺ « بالمؤمنين رؤوف رحيم » وهما من أسماء الله تعالى .

(١) « مضاف الكاف » يعني به قوله تعالى « ليس كمثله شيء » باعتبار الكاف كاف الصفة والمثل هو قوله ﷺ « خلق الله آدم على صورته » فالصورة هي المثل .

لله قوم وجــود الحــق عينهـــمــو   هم الأحياء إن عاشــوا وإن ماتــوا
هـم الأعــزا لا يدرون أنهم   هم ولا ما هم إلا إذا ماتــوا
لله درهـــم من سادة سلفــوا   وخلفــونــا على الآثــار إذ ماتــوا
لا يأخــذ القــوم نوم لا ولا سنـة   ولا يؤدهـــم حفظ ولــو ماتــوا
رأيتــهــم وســواد الليل يســترهـم   عن الــعـــيون قيامـــاً كلها ماتــوا
فكيف بالشمس لو أبدت محاسنهم   أقسمت بالله أن القــوم ما ماتــوا
وكـنت تصــدق أن الله أخــبرنــا   عن مثــلهـــم أنهم والله ما ماتــوا
أحياء لم يعــرفــوا موتـاً ومـا قتلوا   في معــرك وذووا رزق وقـد ماتـوا
فلو تراهـــم سكـــارى في محاربهم   لقــلت إنهم الأحــياء وإن ماتــوا
الله كرمـــهـــم الله شرفـــهـــم   الله يحييهـــم به إذا ماتـــوا
لقــد رأيتهم كشفـــاً وقــد بعثــوا   من بعـد ما قبروا من بعد ما ماتوا

(ف ح ٤/ ٣٩٥)

المراجع

١ ـ كتاب الفتوحات المكية ـ طبعة الميمنية .
٢ ـ كتاب الإسراء .
٣ ـ كتاب النجاة في شرح كتاب الإسراء .
٤ ـ كتاب ذخائر الأعلاق ترجمان الأشواق.
٥ ـ كتاب عقلة المستوفز.
٦ ـ الديوان .
٧ ـ كتاب التدبيرات الإلهية .
٨ ـ كتاب منزل القطب .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

للمـــؤلـــف

١ ـ الفقه عند الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي	صدر
٢ ـ شرح كلمات الصوفية	صدر
٣ ـ الرد على ابن تيمية	صدر
٤ ـ الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي ـ ترجمة حياته	صدر
٥ ـ الحب والمحبة الإلهية	صدر
٦ ـ الخيال عالم البرزخ والمثال	صدر
٧ ـ الرؤيا والمبشرات	صدر
٨ ـ شرح فصوص الحكم	صدر
٩ ـ شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس	صدر
١٠ ـ الطريق إلى الله تعالى ـ الشيخ والمريد	صدر
١١ ـ رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن ـ تفسير قرآن	صدر
١٢ ـ الاعتبار وهو الفقه الباطن	مخطوط
١٣ ـ علماء وأمراء	مخطوط
١٤ ـ الرسائل والمقالات	مخطوط
١٥ ـ الحديث في شرح الحديث	مخطوط

تطلب كتب المؤلف التي صدرت من:

- **دار الفكر ـ دمشق ـ ساحة الحجاز ـ سوريا**
- **المؤلف ـ دمشق ـ ص. ب. ٣٣٣ ـ سوريا**

التنضيد الضوئي
مطبعة الكاتب العربي
هاتف ٢١٩٧٣٨ - ٢٣٨٨٦٧

الطباعة مطبعة نضر
هاتف ٢٢٢٣٦٣

الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي

- ولـد عام ٥٦٠ هـ بمدينة مرسية بشرق الأندلس وتوفي عام ٦٣٨ هـ بمدينة دمشق .
- خرج حاجاً من الأندلس عام ٥٨٩ هـ ثم استقر به المقام في دمشق بعد رحلة مذكورة في ترجمته .
- غرق أهل العلم في شرح وتفسير اشاراته فغابوا عن علو مقام الشيخ الفقهي وانه امام صاحب مذهب مستقل من مذاهب أهل السنة والجماعة .
- اختلف فيـه أهـل الظاهر بين قادح ومادح واعتبره فلاسفة الغرب والشرق من أكبر فلاسفة الاسلام ولقبه الأولياء وأهل العرفان سلطان العارفين وشيخ المحققين .
- له من المؤلفات ما ينيف عن ستمائة مؤلف بين رسالة وكتاب فقد جلها ولم يبق بخط يده إلا اليسير منها الفتوحات الملكية .